أ.د. ليلى عبدالجواد إسماعيل *

ظاهرة تعاطي الحشيش ومكافحتها في مصر المملوكية

التعريف بنبات الحشيش ومسمياته :

الحشيش لغة كلمة تعني العشب أو الكلأ، وتحديدًا العشب الجاف أو العلف الذي تأكله الماشية، والحشيس ما يَبس من الكلأ، فأمكن أن يحش و يجمع، ومفردها حشيشة والجمع حشائش[1].

أما الحشيش اصطلاحًا فقد استخدمت الكلمة للدلالة على (نبات القُنب الهندي) وهو نبات عشبي خشن الملمس، ومجوف الساق، وله أوراق مشرشرة الحافة؛ تختلف شجيراته عن شجيرات القنب الأخرى[2]، فهي تتسم بقصر ساقها وكثرة فروعها. ويستخلص عقار الحشيش من القمم الزهرية لأغصان أنثى نبات القنب الهندي، وذلك خلال موسم الإزهار، حيث تجمع هذه القمم على هيئة حزم، ثم تترك لتجف[3].

ويتحدث ابن البيطار عن القنب الهندي فيقول : " ومن القنب نوع ثالث، يقال له القنب الهندي "[4]، مما يظهر أن القنب له أنواع عديدة وقد حدد ابن البيطار النوع الثالث منها وهو المعروف بـ (القنب الهندي) وبأنه النوع الذي يستخلص منه الحشيش. هذا ويعرف القنب الهندي عند الأطباء باسم (الشهدانج) فيذكر ابن جزلة في كتابه (منهاج البيان) القنب الذي هو ورق الشهدانج منه بستاني ومنه بري، والبستاني أجوده، ويسمى (بالكف) وثمره يشبه حب السمنة، وهو حب يعصر منه الدهن. أما البري فتخرج شجرته في القفار المنقطعة، على قدر ذراع، وورقه يغلب عليه البياض[5].

---

* أستاذ تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب - جامعة القاهرة

وقدم المقريزي وصفًا لهذا النبات (الحشيش) على لسان الشيخ حيدر الخراساني[٦] فقال : " إنه نبات له ورق يميس بلطف، ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان "[٧]. وقد وصفه الأديب محمد بن علي الأعمى الدمشقي في أبيات منها :

دع الخمر وأشرب من مدامة حيدر　　معنبرة خضراء مثل الزبرجد
يرنحها أدنى نسيم تنسمت　　فتهفو إلى بر النسيم المردد[٨]

تعددت مسميات الحشيش، وفي ذلك يذكر أبو بكر القسطلاني (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م) صاحب مخطوط "إتمام التكريم لما في الحشيش من التحريم"[٩]. " وقد اخترعوا لما ابتدعوه أسماء كثيرة، فكنوا بها عنه، رغبة في التستر به .. فسموه الصورة، والكف، والمعلوم، وابنة الجراب، وابنة الكيس، والبنك (البنج)، والكافوري، وابنة القنبس، والخضراء، واللقيمة، وأنشد الشعراء بهذه المسميات أشعارًا فيقول الشاعر تقي الدين الموصلي في تسمية الحشيش بالكف:

كف كف الهموم بالكف فالكف　　شفاء للعاشق المهموم

وقال أيضًا :

وكف اكف الهم بالكف واسترح　　ولا تطرح يوم السرور إلى غد[١٠]

وقال في تسمية الحشيش بابنة القنب :

بأبنة القنب الكريمة لا بأبنة　　كرم بعد البنت الكروم[١١]

وقال ابن سودون البشبغاوي (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م) في ديوانه عن تسميته بالبنك (البنج) :

بنك وسط الجنينة　　يصحنوها في الجفينة　　أو يسفوا بالحفينة

جلا القلب الحزين[١٢]

وذكر المقريزي أنها أي الحشيشة نعتت بالخبيثة وبالعقدة[١٣]. وكنها ابن سودون البشبغاوي بالبهار وبالبولاقة[١٤]. وذكر الزركشي (ت ٧٩٤/١٣٩١م)[١٥] وتسمى أي الحشيشة بالغبيراء[١٦] وبالحيدرية والقلندرية. قيل سميت بالحيدرية لأن ظهورها كان على يد حيدر الخراساني[١٧] في سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م تقريبًا، وفي ذلك يقول الشاعر ابن الرسام :

واشكر عصابة حيدر إذ أظهـــروا   لذوي الخلاعة مذهب المـــتخمس[١٨]

وقيل سميت بالقلندرية لأنها ظهرت على يد أحمد الساوي القلندري[١٩]. وهكذا يتضـــح من المسميات التي اطلقت على الحشيش أو كني بها أن كل منها ذا مغزى ومعنى.

طرق إعداد الحشيش للاستعمال :

أما عن طرق إعداد القنب الهندي (الحشيش) للاستعمال فقد ذكرت المصادر عدة طرق منها :

أولاً : القلي : ينصح الأطباء بضرورة قليه لأنه إذا قلي يكون أقل ضررًا لذلك جرت العادة أن يقلى قبل أكله لأنه إذا أكل غير مقلي كان كثير الضرر. كذلك ينصح الأطبـــاء بتناوله مع اللوز أو الفستق أو السكر أو العسل؛ ويذكر المقريزي[٢٠] أن ذلك يكون حسب أمزجة الناس، فمنهم من لا يستطيع أن يأكله مضافًا إلى غيره، ومنهم من يضيف إليه السكر أو العسل أو غيره من الحلاوات؛ مما يشير إلى أن طعمه كان غير مقبول. هذا ويؤكد البعض أنها خبيثة الطعم كريهة[٢١] لذلك يضاف إليها السكر أو العسل أو السمسم أو غيره حـــتى تصبح مقبولة الطعم.

ثانيًا : الطبخ : ذكر كل من ابن البيطار والمقريـــزي أنـــه رأى الفقـــراء (الصـــوفية) يستعملونه على أنحاء شتى فمنهم من يطبخ الورق طبخًا بليغًا، ويدعكه باليد دعكًا جيـــدًا، حتى يتعجن، ويعمل منه اقراصًا، ومنهم من يجففه قليلاً ثم يحمصه، ويفركه باليد، ويخلط به قليل من سمسم مقشور وسكر، ويستفه ويطيل مضغه[٢٢].

ثالثًا : الطحن والعجن : ذكر ابن سودون طريقة استعمال الحشيش بقوله : يطحن في جفنة، ويطرح بذره وقشه، ثم ينضح عليه الماء رشة بعد رشة، ثم يسكب عليه ماء الـــورد ودهنه، ويحكم بهما عجنه. ثم تقطع هذه العجينة ويأكل منها[٢٣].

رابعًا : السلق : يصف البدري في مخطوطة " راحة الأرواح في الحشـــيش والـــراح " الطريقة التي اعتبرها قريبة من الطريقة المستخدمة في مصر، وهي عبارة عن أخذ سبعة أجزاء من نبات القنب البستاني ويضاف إليها جزء واحد من القنب البري، وهذا الجـــزء الأخـــير يستخدم كخميرة، ثم يوضع الجميع في الماء ويسلق على النار حتى درجة الغليـــان، ثم يـــتم

وضعها في آنية كبيرة محكمة الغلق ومصنوعة من الخزف. ثم توضع في مكان رطب لمدة ستة أسابيع، حتى تتعفن الأوراق، ثم يتركها في المكان أسبوع آخر وهي مغمـورة في المـاء، ثم يسحقها وينعمها ويمزجها معًا، ثم يصنع من هذا الخليط حبات أو أقراص، ويتركها في الظل حتى يجففها الهواء، وتصبح ذات تأثير فعال وقوي[٢٤].

يتضح مما سبق أن الحشيش كان يؤكل كما أجمعت المصادر على ذلك، كما كان يشرب كذلك ولكن لم تذكر أي من المصادر أنه كان يدخن في ذلك العصر، وفيما يتعلق بشـرب الحشيش ذكر القسطلاني في أبيات قد نظمها لمكافحته :

لا تصغين لمادح شـرب الحشـيش ... فإنـه في القـول غـير مسـدد[٢٥]

وقال في موضع آخر :

قد ضل مـن أفـتى بحـل شـرابها ... فيمـا عُـزا للشـافعي وأحمـد[٢٦]

وذكر ابن تيمية أن الحشيشة تذاب في الماء وتشرب ... والحشيشة تؤكل وتشرب"[٢٧].

ويقول الأديب الفاضل شرف الدين أحمد بـن يوسـف (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) في الحشيشة موضحًا أنها طعام وشراب :

جمعت محاسن مـا اجـتمعن لغيرهـا ... من كل شـيء كـان في المعمـور
منـها طعـام والشـراب كلاهمـا ... وباليقل والريحان وقت الحضـور[٢٨]

فؤائد الحشيش ومضاره :

أجمع الأطباء على أن القنب الهندي أو الشهدانج له فوائد جمة كعلاج أو دواء غـير أن مضاره تفوق فوائده، ومن فوائده كما يذكر جالينوس : أنه يبرئ من التخمة وجيد للهضم، وفي ذلك يقول الشاعر النور الاسعردي :

ومن فضلها في الطب جودة هضمها ... وهيهات يحصى فضـلها المعـدد[٢٩]

أما يحيى بن ماسويه[٣٠] فذكر في كتابه (تدبير أبدان الأصحاء) إنه يجفف من البلغم، وينصح بأن من غلب على بدنه البلغم ينبغي أن تكون أغذيته مسخنة مجففة كالزبيب والشهدانج. أما صاحب كتاب إصلاح الأدوية فذكر أن الشهدانج يدر البول، وقال لم أجد لإزالة الزفر من اليد أبلغ من غسلها بالحشيشة[٣١]. هذا إلى جانب أن الحشيش مهدئ للأعصاب ومجلب للنوم ومزيل للقلق، وقد استخدم لعلاج القلق؛ فيروي ابن سودون[٣٢] رواية عن شخص أصيب بالقلق يومًا، فتناول منه حفنة، فزال عنه القلق، وأقبل عليه النوم أفواجًا، علاوة على ذلك فإن الحشيش المخدر يقلل الإحساس بالألم كألم الأسنان والعظام وغيرها، وليس أدل على ذلك من أن استخدامه في البداية كان للعلاج لذلك سمي باسم (البنج)[٣٣]. وقيل أنها أي الحشيشة تحلل النفخ وتنفي الأبرية من الرأس عند غسله، والأبرية مرض يحدث بسطح الرأس وهي بثور بيض، والعلة في فعلها لذلك ما اشتملت عليه من الحرارة واليبس[٣٤].

وقد أجاز البعض التداوي بالحشيش بعد أن ثبت أنه ينفع في بعض الأدوية، كما أجازوا أكل الحشيشة عند قطع اليد المتأكلة وعند المخمصة[٣٥].

هذا ويكسب الحشيش آكله النشاط والسرور فيذكر ابن البيطار " أنهم يطربون عليه ويفرحون كثيرًا "[٣٦]. كما إنه يذهب الهموم الكثيفة وفي ذلك يقول الشاعر علي بن مكي:

تزيل لهيب الهم عنا بأكلها ... وتهدي لنا الأفراح في السر والجهر[٣٧]

كما راح الجسر ــ المشهور بزراعة الحشيش ــ يعدد مزاياه مفاخرًا بها فيقول إنه " مفتاح الأفراح، ومصباح الأرواح، ينصر على الهم، ويكسر جيش الغم، ويجمع شمل الأحباب، ويغل حدة الشباب، ويشهي الطعام والشراب .. "[٣٨].

ولكن إذا كان للحشيش فوائد فإن مضاره تغلب فوائده، فقد نُقل عن بعض العلماء " أن في أكل الحشيشة مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية "[٣٩]. أما الأقفهسي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) فقال : " رأيت في كلام بعضهم مائة مضرة دينية ودنيوية "[٤٠] ثم عدد بعضها. ويمكن تقسيم هذه المضار إلى مضار خلقية وعقلية وجسمانية ومادية ودينية، وفي

ذلك يذكر ابن تيمية : " إنها مشتملة على ضر في دين المرء، وعقله وخلقه وطبعه أضعاف ما فيها من خير ولا خير فيها "(٤١).

أولاً : المضار الأخلاقية : وفيها يقول المقريزي : " ما بلى الناس بأفسد من هذه الشجرة لأخلاقهم، فهي تورث السفالة والرذالة، وأن من عاناها أي تعاطاها ينحط في سائر أخلاقه إلى ما لا يكاد أن يبقى له من الإنسانية شيء البتة "(٤٢). وذكر القلقشندي(٤٣) " أنها تورث مساءة الأخلاق، وتحط من قدر متعاطيها عند الناس إلى غير ذلك من الصفات الذميمة المتكاثرة " علاوة على أنها تورث فساد الفكر .. وإفشاء السر، وإنشاء الشر، وإذهاب الحياء، وكثرة المراء، وعدم المروءة، وعدم الغيرة .." كما يروي الأقفهسي(٤٤). أما ابن تيمية فيقول : " أن هذه الملعونة تورث قلة الغيرة، وزوال الحمية حتى يصير آكلها أما ديوثًا، وأما مأبونًا وأما كلاهما"(٤٥). كما أنها تدع الشجاع جبان، كم من أسد أصبح بها مصادًا، وسائس أصبح منقادًا، ورئيس أضحى بها مرؤوسًا، وكريم غدا خسيسًا.." كما يذكر صاحب المفاخرات(٤٦).

ثانيًا : المضار العقلية : أوضح ابن البيطار مضار الحشيش العقلية فقال : "وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم، وأدى بهم الحال إلى الجنون وربما قتل "(٤٧). وقال في موضع آخر " ربما يسكرهم ويخرجون به إلى الجنون أو قريبًا منه "(٤٨). أما ابن تيمية فذكر أن الحشيشة تورث الجنون، وكثير من الناس صار مجنونًا بسبب أكلها. وذكر في موضع آخر أنها " تفسد الأمزجة حتى جعلت خلقًا كثيرًا مجانين .. ومن لم يجن منها فقد أعطته نقص العقل، ولو صحا منها فإنه لابد وأن يكون في عقله خبل .." (٤٩). وهكذا فإن الحشيش يفسد العقل ويقوي الهوس، ويوضح ذلك رواية للمقريزي أوردها في حوادث عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، وذكر فيها أن أحد متعاطي الحشيش اقتحم مجلس الأمير عز الدين الحلي نائب السلطنة بديار مصر ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة بدار العدل، فخرق الصفوف، وكان بيده قصة (شكوى) ووقف أمام الأمير عز الدين ووثب عليه بسكين أخرجها من تحت ثيابه وطعنه في حلقه، ثم حاول ضربه مرة أخرى، فأصابت سكينه الأمير صارم الدين المسعودي وكان من حضور هذا المجلس، فمات، فتكاتف عليه الجميع وانهالوا عليه بسيوفهم حتى

هلك. وكان هذا الشخص جندار به شعبة من جنون، وتعاطي أكل الحشيش فقوي جنه كما يروي المقريزي[٥٠].

ويصف ابن سودون حالة شخص أكل الحشيش، وبيّن تأثيره عليه وما أصابه من الهوس ومن هلاوس بصرية وسمعية، فذكر أن شخصًا أكل الحشيش، فأقبل عليه النوم أفواجًا، ولكن أصابه جوع لم يطق الصبر عليه، فخرج من المترل يلتمس ما يأكله، فإذا ببحر عجاج متلاطم الأمواج أرضه من الصابونية، وجوانبه من المأمونية، فسعى إليه ووقف عليه، وإذا ماؤه من القطر (العسل) المكرر، وأسماكه من الموز المقشر، على شاطئيه شباك من زلابية، فأخذ شبكة منها، وطرحها في البحر، فامتلأت سمكًا، ثم جذبها فلم يقدر على نزعها، فترع ثيابه ونزل إليها، وجعل تارة يأكل سمكة، وتارة قطعة من الشبكة، ولم يزل على ذلك سبعة أيام، ثم قذفه الموج في اليوم الثامن إلى جزيرة فيها جبال من كنايف، وأودية من قطايف، ثم سقط في بركة من ريم الليمون المالح، فسبح فيها يومًا وليلة فلما خلص منها ذهب إلى مترله[٥١]. ويقول النور الأسعردي في هذا المعنى :

وتفسد من ذهن النديم خياله   فينظر مبيض الصباح كأسود[٥٢]

تؤثر الحشيشة أيضًا على عقل آكلها، وتحدث خللاً في ذاكرته فينسى كثيرًا ويسهل التأثير عليه والإيحاء إليه، وفي ذلك يورد ابن سودون رواية على لسان أبي غيدشة الزلابياني: قال : " لما نزل بي الشيب زوجتني أمي بامرأة كانت أبعد مني سنًا إلا إنها أكبر مني عقلاً، فلما دخلت بها أطعمتني شيئًا (حشيشة) وقالت : كل هذا تر منه عجبًا فأكلته، فرأيت من عجبه إنه زادني عقلاً، على إنه لم يمض من الدخول سوى يومين، وإذ بها قد ولدت، فانكرت ذك منها فقالت : لا تنكر، فإن الذي أطعمتك إياه من المدد إنك تأتي في كل يوم بولد، فرجعت عن الإنكار وشرعت لها في الاستغفار "[٥٣].

ويتابع ابن سودون فيذكر أن ذات الزوجة طلبت من زوجها طعامًا حارًا، فأخذ الصحفة وذهب إلى السوق دون أن يأخذ المكبة (أي غطاء الصحفة)، فرجع ليأخذها، فنسي الصحفة، وكرر ذلك مرارًا حتى غروب الشمس، ثم قال في نفسه : والله لا أشتري لها شيئًا، وأدعها تموت جوعًا، ثم رجع إلى البيت فوجدها قد ماتت .. فمضى ليحضر لها الكفن،

فضل طريق العودة إلى المترل، ويعلق على ذلك بقوله : " وها أنا في طلبه إلى يومنا هـــذا " كما يروي ابن سودون[٥٤].

ولله در القائل :

قيمـــة العقـــل جـــوهر فلمـــاذا يا سفيها قـــد بعتـــه بحشيشـــة[٥٥]

ثالثًا : المضار الجسمانية : عدَّد الأقفهسي[٥٦] مضار الحشيش الجسمانية فذكر أهـــا " تجفف الرطوبات، وتعرض البدن لحدوث الأمراض، وتصدع الرأس، وتقطع المنى وتجففـــه، وتورث موت الفجاءة .. تقطع النسل وتورث الجذام، وتورث البرص، وتجلب الأســـقام، وتكسب الرعشة ... وتسقط شعر الأجفان، وتحرق الدم، وتحفر الأسنان، وتظهـــر الـــداء الخفي، وتضر الأحشاء وتفتر الأعضاء، وتضيق النفس .. وتنقص القوى، تصفر الألـــوان، وتسود الأسنان، وتثقب الكبد، وتورث العين الغشاء، وقلة النظر .. تجعل الصحيح عليلاً إن أكل لا يشبع وأن أُعطى لا يقنع، وإن كُلم لا يسمع، تجعل الفصـــيح أبكمـــا والصـــحيح أبلما... ".

أما الأطباء ومنهم محمد بن زكريا الرازي فقد ذكر في كتابه الموسوم بالفاخر أن أكـــل ورق الشهدانج البستاني يصدع الرأس، ويقطع المنى ويجففه[٥٧].

وأجمل الشاعر شمس الدين محمد بن علي التلمســـاني (ت ٦٨٨هـــــ/١٢٨٩م) تـــأثير الحشيشة على جسد الشخص الذي يأكلها فقال :

ما للحشيشة فضل عند آكلـــها لكنه غـــير مصـــروف إلى رشـــده
صفراء في وجهه خضـــراء في فمـــه حمراء في عينه سوداء في كبده[٥٨]

ويقول النور الأسعردي في تأثير الحشيش على الأبدان :

ويبدو على خديه مثـــل اخضـــرارها فيضحى بوجه مظلم اللون أربـــد[٥٩]

وأما ابن سودون البشبغاوي فيقول موضحًا أثرها على العين والأبصار :

بلعت يومًا بندقة في لونهـا خضـرة   رأيت بياض عيني قد صارت عليه حمرة[٦٠]

ويقول في موضع آخر :

إنها يا ناس أسرار   سرها يظهر في الأبصار   أهلها في كل الأعصار

لا يزلـــوا فرحين[٦١]

رابعًا : المضار الدينية : وهي كثيرة ومتعددة، فيذكر أبو بكر القسطلاني "أنها تحول بين الشخص وبين .. الصوم والصلاة والعلم بالحركات والسكنات ... والعبد في الآخرة عن ذلك مسئول، ومن قصر فيما وجهه الله عليه، فليس له في الآخرة محصول "[٦٢]. وذكر القسطلاني في موضع آخر : " إنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فالذكر يكون أما بالقلب أو باللسان، وكلاهما إنما يقع مع صحة الذهن وسلامة العقل، وذلك إنما يقع بسلامة المحل وهو القلب والدماغ كما قال تعالى في ذلك : [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ]. وأما إنها تصد عن الصلاة وذلك لأن الصلاة حركات وسكنات متعلقة بشروط وأركان وهيئات وحضور قلب في مناجاة الله سبحانه وتعالى، فإذا كان الفكر مشغولاً شغلاً اضطرارًا فكيف يتأتى منه القيام بهذه الأمور المطلوبة منه. ومن ثم فإن الحشيشة تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ... "[٦٣].

وأكد ابن تيمية ما ذهب إليه القسطلاني فذكر " إن آكلوها ينشون عنها ويشتهونها ... وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها "[٦٤]. وذكر في موضع آخر " إن كثيرها يسكر حتى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة[٦٥].

أما الزركشي والأقفهسي فقد ذكرا في ضررها في الدين أنها " تورث نسيان الذكر .. ومجالسة إبليس، وترك الصلوات، والوقوع في المحرمات "[٦٦].

ويقول القاضي عبدالوهاب في ذلك :

سلبتهم أديانهم وعقولهم   أرأيت عادم دينه مغتما[٦٧]

هذا فضلاً عن المضار المادية فإلى جانب أنها مذهبة للأديان كما يذكر الزركشي فهي مذهبة للأموال كذلك وفي ذلك يقول : " أما الحشيشة ... المفسدة للعقول والأبدان المذهبة للأموال والأديان ... "[٦٨]. وعبر الأقفهسي عن مضارها المادية بقوله أنه يترتب عليها " إتلاف الكيس "[٦٩]. علاوة على نظرة الدولة والمجتمع إلى متعاطي الحشيش التي عبر عنها القسطلاني بقوله : " إزدراء متعاطيها واحتقاره في أعين النظار وارتداء آكلها برداء الخسار عند الأتقياء الأبرار .. والتوقع لسخط الجبار، والتطلع للإهانة من ولاة الأمصار، والتتبع لأثار الفسقة والفجار ... "[٧٠]. كما أنها تورث مهانة آكلها كما يذكر ابن تيمية[٧١].

ونظرًا لكثرة مضار الحشيش فقد وجه بعض المؤرخين والشعراء نداءات وتحذيرات ونصائح بالبعد عنه والخلاص منه، فينصح المقريزي آكليها بقوله : "فانظر كلام العارف فيها، واحذر من إفساد بشريتك وتلاف أخلاقك باستعمالها"[٧٢].

ويوجه ابن سودون البشبغاوي دعوة للخلاص من الحشيش فيقول :

يا قاتلا لحشيشة قتلته يا	مشكاح أنت القاتل المقتول
إن شئتها تحييك أحسن قتلها	واستكثرن فلا يفيد قليل
مهما انسطلت بها فعيشك طيب	كم عاش فيها بالهنا مسطول[٧٣]

ويقدم الأطباء المتخصصون في معرفة هذا النبات طرقًا عدة لإبطال مفعوله والخلاص من تأثيره، فينصح الأطباء ومنهم يحيى بن ماسويه في كتابه " تدبير أبدان الأصحاء "، بأن الإنسان إذا أراد التخلص من تأثير أكل الحشيشة أو تعاطيها، وأحب أن يفارقه فعلها قطر في منخريه شيئًا من الزيت، وأكل من اللبن الحامض، كذلك مما يكسر قوة فعلها ويضعفه السباحة في الماء الجاري والنوم كذلك يبطله[٧٤]. أما ابن البيطار فيذكر أن الإنسان إذا خيف من الإكثار منه فليبادر بالقيء بسمن وماء ساخن، حتى تنقى منه المعدة، مع شرب الحامض أو الحماض فهو في غاية النفع له[٧٥].

دخول الحشيش مصر وانتشاره في العصر المملوكي :

عرفت مصر الحشيش كمادة مخدرة تستخدم في العلاج منذ عهد الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٥٠-٩٠٢م) ولكن عرف أولاً باسم البنج ثم باسم الحشيشة، وهناك روايتان تؤكد صحة ذلك، الأولى رواية ابن يوسف الكاتب ـــ وهو صاحب كتاب المكافأة ـــ وأحد كتاب الدولة الطولونية، وقد جاء فيها على لسانه : كنت أعرف شيخًا في أيام خمارويه، حلو النادرة، مليح الألفاظ يعرف بالدفاني، وكان يتعاش من توصيل كتب الولاة إلى معامليهم (أي عمالهم) فخرج ذات مرة إلى الشرقية، فالتقى مع رجل من الأطباء، فسأله الطبيب عن صناعته، فقال له : إنه يتاجر في الغلات، فطمع فيه، ودعاه للطعام بأن أخرج رغيفين من خرجيه مشطورين، فقدم له واحد ووضع الآخر بين يديه، ثم ذهب لإحضار الماء، فما كان من الدفاني إلا أن استبدل رغيفه برغيف الطبيب، فلما أكل الطبيب شخص بصره وتمدد، ومر به جماعة فقالوا له : ما لصاحبك، قال لا أدري، فقال له : أنت مُبنج بنجت هذا المسكين، ويروي في النهاية أنه بتفتيش خُرج الطبيب وجدوا فيه شطاير تبنيج وشطاير خالية، وأوتارًا للخنق، فخنقوه بتلك الأوتار حتى مات(٧٦).

أما الرواية الثانية فهي عن ابن زولاق إذ يذكر : " كان القاضي أبو زُرعة(٧٧) يَرقى من وجع الضرس يقرأ عليه، ويدفع إلى صاحبه حشيشة فيسكن "، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على استخدام الحشيش في تلك الأونة لمجرد التبنيج وعلاج الأسنان وتخفيف ألمها(٧٨).

ويلاحظ أن الروايتين كانتا في عصر خماوريه، مما يشير إلى أنه شاع استخدام الحشيش في عصره للتبنيج والتخدير وكعلاج لبعض الآلام مثل آلام الأسنان كمادة طبية وليس لبعث النشوة والسرور.

ظل الحشيش يستخدم كعقار طبي في مصر في العصرين الأخشيدي والفاطمي وعلى نطاق ضيق، فقد اعتقد الناس أنه يخفف الآلام الناتجة عن أمراض العظام والأسنان(٧٩).

أما في العصر الأيوبي فشاع أكل الحشيش بين فئات العامة في المجتمع المصري ليس بغرض التطبب كما كان في العصور السابقة بل بغرض النشوة والسرور الطرب. ويحدد ابن تيمية

تاريخًا لظهور الحشيش واستعماله في العالم الإسلامي بغرض النشوة والسرور فيذكر : " إن أول ما بلغنا إنها ظهرت بين المسلمين أواخر المائة السادسة وأوائل المائة السابعة، حيث ظهرت دولة التتر، وكان ظهورها مع ظهور جنكسخان "[٨٠]. وذكر في موضع آخر " وإنما حدثت في الناس بحدوث التتار "[٨١]. وفي موضع ثالث يؤكد ذلك بقوله " وإنما ظهر في الناس أكلها قريبًا من نحو ظهور التتار، فإنها خرجت، وخرج معها سيف التتار "[٨٢].

يتضح من عبارات ابن تيمية أنه أرجع ظهور الحشيش في العالم الإسلامي إلى أواخر المائة السادسة وأوائل المائة السابعة، وأن التتار هم الذين أظهروه في العالم الإسلامي، ونقلوه إلى بلاد العراق والشام، ثم انتقل إلى مصر. وقيل إنه انتقل إلى مصر من خراسان وبلاد العراق إذ نسب إظهار أكله إلى الشيخ حيدر الخراساني شيخ شيوخ الصوفية في خراسان[٨٣]. وقيل إنه وصل إلى مصر عن طريق بلاد الهند، ثم بلاد اليمن في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م خاصة وقد نسب إظهاره كذلك إلى أهل الهند على بن مكي في أبيات أنشدها منها :

بهندية أصل إظهار أكلها	إلى الناس لا هندية اللون كالسمر[٨٤]
تزيل لهيب الهم عنا بأكلها	وتهدي لنا الأفراح في السر والجهر[٨٥]

تؤكد هذه الأبيات على معرفة الحشيش في ذلك الحين كمادة تجلب الفرح والسرور والنشوة، لأن الحشيش كان قد سبق وعرفته مصر كمادة مخدرة قبل التاريخ الذي حدده ابن تيمية.

شاع تعاطي الحشيش في العصر الأيوبي بين بعض فئات المجتمع المصري وذلك لعدم وجود عقاب رادع لباعته وآكليه، فكانت الدولة تكتفي بمنع زراعة الحشيش، وجمعه من باعته ومتعاطيه وتقوم بحرقه مثلما فعل السلطان الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م) فقد أمر الأمير جمال الدين بن يغمور بأن يمنع زراعة الحشيش في البستان الكافوري[٨٦]، ومع ذلك دخل هذا البستان في ربيع الأول من عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م فرأى فيه شيئًا كثيرًا منه، فأمر بأن يجمع ويحرق[٨٧]. وأنشد الأديب شرف الدين أبو العباس يوسف في هذه الواقعة قصيدة طويلة ينعي فيها نبات الحشيش قائلاً:

زفـوا لهـا نـارًا فخلتـا جنـة | برزت لنـا قـد زوجـت بـالنور
ثم اكتسـت منـها غلالـة صـفرة | في خضـرة مقرونـة بـزفير
فكأنهـا لهـب اللظـى في خضـرة | منها وطـرف رمادهـا المنثـور(٨٨)

ويقول أيضًا حزينًا آسفًا على إحراق الحشيش في البستان الكافوري :

لله درك حيـة أو ميتـة | مـن منظـر يهيج بغـير نظـير
أو ذيت غير ذميمـة فسـقى الحيـا | تربًـا تضـمن منـك ذوب عـبير
عندي لذكرك مـا بقيـت مخلـدًا | سح الدموع ونفثـة المصـدور(٨٩)

ما لبث أن شاع تعاطي الحشيش في مجتمع مصر المملوكية وإن كان بدرجات متفاوتـة، حقيقة تعاطه الخاصة والعامة، ولكنه كان نادر الاستخدام بين السلاطين والأمراء والـولاة والقضاة والعلماء، في حين تفشى بين الشعراء والأدباء، وفاق الحد بين الصوفية والعامة.

أما عن تعاطي السلاطين الحشيش، فعلى الرغم من أن المصادر أفاضت في ذكر العديـد من أسماء السلاطين الذين احتثوا الخمر، إلا إنها لم تشر من قريب أو من بعيد إلى أن عـددًا منهم قد أكل الحشيش وتعاطه، بل اكتفت بـذكر أن بعضـهم كـان يتعـاطى الخمـور والمسطلات(٩٠). اللهم إلا ابن إياس الذي أشار في ترجمة للسلطان المؤيد شـيخ المحمـودي (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) إلى أن غالب المؤرخين أثنوا عليه إلا الشـيخ تقـي الدين المقريزي، فإنه حط عليه بمساوئ كثيرة منها ... إنه كان يتجاهر بالمعاصـي، وأكـل الحشيش المستقطر .." (٩١). وبالرجوع إلى المقريزي اتضح أنه ذكر في كتابـه السـلوك في حوادث عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م وهو العام الذي توفى فيه المؤيد شيخ ذكر " إنـه كـان يتظاهر بأنواع المنكرات، فحاشًا، سبابًا .. "(٩٢) دون أن يذكر أنه أكل الحشيش كما أورد ابن إياس، ولعل ابن إياس قد عثر على ترجمة المؤيد في كتاب المقريزي، المقفى الكبير وهـي مفقودة كما أشار من قام بطبع هذا الكتاب(٩٣). على أية حال فنادرًا ما توجد إشارة حول تعاطي السلاطين الحشيش، على عكس الأمراء المماليك الذين ولعوا بأكله فتنـاولوه أمـام

الناس بلا تستر، ودرج عدد منهم على الترول ليلاً إلى بولاق ومنهم من كان يرتـــاد أرض الطبالة وبركة الرطلي والجسر وباب اللوق وغيرها مـــن الأمـــاكن الـــتي ينتشـــر فيهـــا الحشيش[٩٤].

كان من بين هؤلاء الأمراء من شغل مناصب مهمة في الدولة كمنصب الـــوالي، ومـــن هؤلاء الأمير التاج الشوبكي الدمشقي[٩٥] الذي استقر في سلطنه المؤيد شيخ (والي حرب) ثم ولاه أستادارية الصحبة وحسبة القاهرة وغيرها، وكان نديمه ومضـــحكه، وممـــن أكـــل الحشيش، وارتكب المحرمات إذ يذكر الصيرفي " أن عيونه من الحشيش كأنهما قطعتا بلخش خاص من شدة حمرقمم " وذكر أيضًا أنه ارتكب الرذائل والقبائح حتى صار عارًا على جميع بني آدم[٩٦]. ولعل عبارات الصيرفي هذه تؤكد ما ذكره ابن إياس على لسان المقريزي مـــن أن المؤيد شيخ قد أكل الحشيش المستقطر، ما دام نديمه ومضحكه قد فعلها.

لم يسلم من هذا الداء حملة العلم والدين من العلماء والقضاة إذ فسدت نفوس بعضهم، ومرضت قلوبهم، وهم القدوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر، وشـــغف بعضـــهم بالحشيش كثيرًا. فمن العلماء الذين دأبوا على أكل الحشيش العالم ابن الصاحب وهو الشيخ علم الدين أحمد ابن الصاحب صفي الدين يوسف بن عبدالله بن شكر[٩٧]، الـــذي درسَّ في بعض المدارس، وكانت له وجاهة ورياسة، ولكنه ترك كل ذلك وأقبل على الحرفشة، وأكل الحشيش واستعمل حشيشة الفقراء، وكان مما أغرموا به، وكان يرى أنه لا معنى لمن دعا إلى تحريمها لأن ذلك تجن إذ ليس هناك نص قرآني يحرمها صراحة، ويقول في ذلك :

في خمار الحشيش معـــنى مَرامـــي ... يـــا أهـــل العقـــول والأفهـــام
حرمّوها مـــن غـــير عقـــل ونقـــل ... وحـــرامُ تحـــريمُ غـــير الحـــرام[٩٨]

كما أنه لم يجد غضاضة من تناولها إذا عزت الخمر، فالقصد عنده هو اللهو والتصابي على مدى الأيام، ومن الطبيعي أن تنفد واحدة منهما بصورة أو بأخرى وفي ذلك يقول :

يـــا نفـــسُ ميلـــي إلى التصـــابي ... فاللـــهو منـــه الفـــتى يعـــيشُ
ولا تملـــي مـــن شُـــكر يـــوم ... إن أعـــوز الخمـــرُ فالحشـــيش[٩٩]

وله أيضًا :

جمعت بين الحشيش والخمر فرحتُ لا أهتدي من السُّكر
يا من يريني باب مدرستي يربح والله غاية الأجر[١٠٠]

وكان أحمد بن إبراهيم بن أحمد الإمام نجم الدين ابن الشيخ عماد الدين ابن القاضي نجم الدين (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م) ممن أكل الحشيش، وسبب له انحراف، وساء منه مزاجه، فكان يقف في الطرقات وينشد أشياء مفيدة، ويحكي أشياء قديمة وجديدة ويخالط الجد بالهزل، ثم يثوب إليه عقله ثم يعود لحالته وذلك بسبب تعاطيه الحشيش كما يذكر ابن حجر[١٠١].

اتهم كذلك الشيخ محمد بن محمود الصوفي (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م) وكان أحد طلبة الحنفية وفضلائهم، اتهم بأكل الحشيشة[١٠٢]. هذا في حين أن هناك من الأئمة العلماء من ذم الحشيشة ومن هؤلاء الشيخ الإمام العالم العارف محي الدين أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري الشاطبي يقول :

شر سكر سكر الحشيشة والسكر حرام بنص خير الأنام
يفسد العقل والمزاج جميعا بفنون الجنون والاستقام

ويقول أيضًا :

صدق القائلون بالحل فيها هي حل لكن على الإنعام[١٠٣]

أكل بعض القضاة الحشيش، وشغفوا به فقد ضبط أحد القضاة متلبسًا بأكل الحشيش في فمه، وهو القاضي حسام الدين الغوري، ضبطه بواب المدرسة الصالحية سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م على عهد السلطان كجك بن الناصر محمد - ضبطه يتناولها، ففضحه، وجمع عليه الناس، فنهبوا موجوده، وأهين ضربًا، ونتفوا لحيته حتى أجاره قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي في بيته[١٠٤].

أما عن الشعراء في العصر المملوكي فانتشر تعاطي الحشيش بينهم وإن لم يتفقوا فيما بينهم حول أهمية الحشيشة وقيمتها، منهم من آثرها على الخمر ومنهم من ذمها، ومنهم من ساوى بينهما، ومنهم من فضلها على الخمر، وأظهر مزاياها، ثم عاد وفضل الخمر عليها، وليس هناك من مقياس إلا المزاج(١٠٥).

استند مؤثرو الحشيشة على الخمر من الشعراء إلى لونها الأخضر، وتنامي فعلها في صاحبها أكثر مما تفعله الخمر، فلا احتراق في الاحشاء، ولا عوارض صحية لاحقة .. إن هي إلا خدر نفسي يشعر معه آكلها بنعيم الفردوس وهو في الدنيا(١٠٦). وفي ذلك يقول شرف الدين محمد بن يوسف الزرعي المعروف بابن الوحيد :

وخضراء ما الحمراء تفعل فعلها ... لها وثباتٌ في الحشى وثباتُ
توجج نارًا في الحشى وهي جنة ... وتُروى مريرَ الطعم وهي نباتُ(١٠٧)

ومن الشعراء الذين مدحوا الحشيشة كذلك محمد بن الأعمى الدمشقي الذي قال فيها :

هي البكر لم تنكح بماء سحابة ... ولا عصرت يومًا برجل ولا يد
ولا عبث القسيس يومًا بكأسها ... ولا قربوا من دنها كل مقعد(١٠٨)

ويعد الشاعر إبراهيم بن المعمار(١٠٩) من أشهر من تغنوا بالحشيش وترنموا به في نظمهم في مصر في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وحاول من خلال أشعاره إظهار مزايا الحشيش(١١٠).

أما الذين ذموا الحشيشة فقد نظروا إلى الجانب الآخر من فعلها وتأثيرها، فهي خضراء اللون لكن شاربها يصاب بالهزل والاصفرار، لأنها تنسيه حياته ونشاطه وطعامه وغذاءه. لذلك يصبح سقيم الجسم، فاقد الرشد، ومن هؤلاء الشاب الظريف شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني (ت٦٨٨هـ/١٢٨٩م) قال في ذم الحشيش :

ما للحشيشة فضل عند آكلها ... لكنه غير مصروف إلى رَشَده
صفراءَ في وجهه خضراءُ في فمه ... حمراءُ في عينه سوداء في كبده(١١١)

ومن الشعراء من أحسن بخطورة الحشيش، وراح يوصف أضراره ومن هؤلاء المتقن فتح الدين أحمد بن الثقفي (ت ٧٠١هـ/١٣٠١م) قال :

محا الله الحشيش وآكليها ... لقد خبثت كما طاب السلاف
كما تصبي كذا تضني وتشقى ... لآكلها وغايتها انحراف
وأصغر دائها والداء جم ... بغاء أو جنون أو نشاف[١١٢]

أما هارون بن موسى ابن المصلي الأرمنتي[١١٣] فقال مدحًا للخمر وذمًا للحشيش :

ليس في الأرض نبات انبتت ... فيه سر حيرٌ العقل سواها
راحت الخضراء تحكي سُكرها ... قتلوها بعد تقطيع قفاها[١١٤]

أما الذين فضلوا الحشيش أولاً على الخمر وأظهروا مزاياه، ثم عادوا وفضلوا الخمر عليه فيمثلهم النور الأسعردي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[١١٥] الذي قال أولاً مفضلاً حشيشة الفقراء :

رياضية يحكي الجنان اخضرارها ... وخمرهم كالمارج المتوقد
مدامهمُ تنس المعاني وهذه ... تذكر أسرار الجمال الموحد[١١٦]

ويقول كذلك :

ولا داسها العُصار عمدًا ودنس الـ ... دنان بمختوم من القار أسود
ولا تتعب الأبدان عند نزالها ... وفي القيء إذ تبدو كزق ممدد
ولا تستخف الناس عقلك بينهم ... لعمري ولا تدعي لديهم بمفسد[١١٧]

ويقول أيضًا في مزاياها :

وتأمن كبسات الحماة وكيدهم ... وتسلم من جور الولاة ولا تدي[١١٨]

وأخيرًا يقول :

فلا تسـمع فيهـا مقالـة عـاذلٍ　　يصدك عنها واعص كل مفنـد[١١٩]

ثم يعود ذات الشاعر النور الأسعردي ويفضل الخمر على الحشيش فيقول :

أترضى بـأن تمسـى شـبيه بهيمـة　　بأكل حشيش يـابس غـير أرغـد
فدع رأي قوم كالـدواب ولا تُـدر　　سوى درةٍ كالكواكب المتوقـد[١٢٠]

ويقول أيضًا :

وخمرتنـا تكسـو الـذليل مهابـة　　وعزًا فتلقـى دونـه كـلّ سـيد

ويقول كذلك :

وفيها على رغم الحشـيش منـافع　　فقُـل في معانيهـا وصـفها وعـدد
وفي غيرهـا للنـاس كـل مضـرة　　فحدث بكل السوء عن وصفها الردي
وحقك مـا ذاق الحشـيش خليفـة　　ولا ملك فـاق الأنـام بسـؤدد[١٢١]

حاكى أدباء العصر المملوكي شعرائه في تعاطي الحشيش وفي الكتابة عنه بغرض إيضـاح مزاياه وتفضيله على الخمر، وقد غلب على بعضهم أكله ومن هؤلاء أحمد بن محمد بـن أبي بكر بن مكي بن مسلم المصري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) قال عنه ابـن حجـر : " تعـاني الآداب فمهر فيها، وجمع مجاميع كثيرة يقتصر فيها على المقطعات ... ويُصـيف غالبًـا في الشام ويشتي بمصر، إلا أنه غلب عليه محبة الحشيشة وهي محنة خسيسة "[١٢٢].

ويُعد ابن سودون البشبغاوي[١٢٣] (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م) من بين الأدباء الذين أكلوا الحشيش إذ يورد في ديوانه نزهة النفوس ما يؤكد ذلك، وكان قد اعتاد الذهاب إلى بولاق والأماكن المجاورة لها وهي أماكن اشتهرت بالمجون والخلاعة وأكل الحشيش وفي ذلك يقول :

تجاور[١٢٤] بسـطة فيهـا انبسـاطي ينـادي بالخلاعـة والجـنون
عليها طـاب عـيش بـني خضـير إذا بـرزت لبـدوهم الكمـين
لقد أفسـدت يـا بـولاق عقلـي وكم قد كان أهلي أصـلحوني[١٢٥]

ويقول أيضًا دلالة على استمراره في أكل الحشيش :

يا من إلى البسـط بعـد الكودنـا قـد مـال قـم رح لقصـف أبـو خـالع بـلا إهمـال
زقـزق علـى بنلقـه حـتى يطـير المـال وايش ما انصرف جددو دولاب حشيش عمـلال[١٢٦]

ويقصد ابن سودون بذلك استمراره في تعاطي الحشيش مثلمـا يتـوالى تحويـل المـاء بالدولاب. ويقول كذلك :

يا من أحسن البحر الواحد حـداه مسـطول قاعد على جنب شختوره عليه دلـول
حـداه عُشـبو قُشـيطة فوقهـا عسـلول يقتل حشيشو ويبلع ينقلب مقتول[١٢٧]

فاق الصوفية الشعراء شغفًا بالحشيش، وتفشي أكله بينهم وشاع وانتشر، حتى نسـب إليهم، وأصبح يعرف باسم " حشيشة الفقراء "[١٢٨]. وزعم بعضهم أن الحشيشة " لقيمـة الذكر والفكر "[١٢٩]. وسار عادة سيئة لديهم مما دفع بعض الشعراء ومنهم ابن قـزل (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) إلى انتقادهم خاصة وقد تعللوا بأنها تساعدهم على الوجد وبلوغ رتبة الجذب، قال ابن قزل :

أرى فقراءنـا مـن كـل علـم ومـن ديـن دوابـاً في ثيـاب
يراعـون الحشيشـة حيـث كانـت وهل يرعى الحشيش سوى الدواب؟[١٣٠]

عدَّد المقريزي الأسباب التي دفعت الصوفية إلى الإقبال على أكل الحشيش بل والترويج له ومنها : ما يجدون فيه من اللذة، كما إنه يجفف المنى، ويقطع شهوة الجماع، ولكي لا تميل نفوسهم إلى ما يوقع في الزنا[١٣١]. كذلك أجمل أحد الصوفية وهو حيدر الخراساني منـافع

أكل الحشيش،و شجع على أكل الصوفية إياه، فهو يذهب بآكله الهموم الكثيفة، ويجلو بفعله الأفكار الشريفة، ويكسب آكله نشاطًا وسرورًا[١٣٢]. لذلك أقبل الصوفية على أكل الحشيش وانتشر بينهم في العصر المملوكي حتى ربط البعض بين فشو الحشيش وانتشار التصوف فقالوا : أن الظاهرتين سارتا في مصر جنبًا إلى جنب[١٣٣].

لمعت بين أسماء الصوفية ممن اشتهروا بأكل الحشيش ـ في المصادر ومن أبرز هؤلاء أحد مشايخ الصوفية ويدعي المجاهد إبراهيم القطان، وقد استتابه ابن تيمية في عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م من كلام الفحش، وأكل ما يغير العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرمات[١٣٤]. وكذلك أحمد الوريس الاقباعي كان من الصوفية الذين استحلوا المحارم، وكان يأكل الحشيشة ويترك الصلاة ولذلك قتل في عام ٧١٥هـ/١٣١٥م[١٣٥]. فضلاً عن الشيخ شمس الدين الميموني الذي أباح لنفسه اللواط والخمر والحشيش، ولذلك تم اعتقاله، واحضر إلى مجلس السلطان وفيه ابن حجر، فأفتى بأن في عقله خللا[١٣٦].

والحقيقة أن هؤلاء ليسوا بالصوفية، ولكنهم جماعة تشبهوا بهم، وتزيوا بزيهم، لينتسبوا إليهم، وقد اتخذوا من التصوف وسيلة للحصول بها على الدنيا، وقد وصفهم السبكي بأنهم " آكلة ـ بطلة ـ سطلة لا شغل ولا مشغلة " كما أنهم اتخذوا من الخوانق أي بيوت الصوفية ذريعة للباس الزور، وأكل الحشيش، والانهماك على حطام الدنيا[١٣٧].

أما ابن سعيد المغربي الذي زار مصر فيذكر أن الفقير (أي الصوفي) له نفس يحكم فيها كيف شاء من رقص في وسط السوق أو تجريد أو سُكر من حشيشة .. إذ ما أشبه ذلك[١٣٨].

ويقول الشاعر ابن الصائغ (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) في تأثير الحشيش على فقراء الصوفية :

يغدو الفقير إذا تناول درهما ... منها له تيه على الأمراء
وتراه من أقوى الورى فإذا خلا ... منها عددناه من الضعفاء[١٣٩]

ومن ثم فقط نظر إليهم السبكي على أنهم " ليسوا من الصوفية الحقة، ولا يستحقون وقف الصوفية، وإن كل ما يأكلونه منه حرام "[١٤٠].

وقد ساعد على تغيير حال الصوفية تدفق مجموعات من الدراويش أو المجاذيب إلى مصر وانضمامهم إلى الصوفية، ومن هؤلاء الحيدرية والقلندرية وكلاهما من العجم، وهم من الذين ابتدعوا أكل الحشيش. أما عن الحيدرية فينسبون إلى الشيخ قطب الدين حيدر[١٤١]، الذي ولد بنشاور من بلاد خراسان، وكان صوفيًا، وهو الذي اكتشف سر نبات الحشيش، وأوصى تلاميذه بألا يخفوه على الفقراء أي الصوفية، كذلك أوصاهم بأن يطلعوا ظرفاء خراسان وكبراءهم على هذا العقار وسره، فاستعملوه في خراسان، وانتقل منها إلى مصر والشام كما سبق أن ذكرنا.

بدأت طوائف الحيدرية تتوافد على مصر منذ عام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، وفي سلطنة عز الدين أيبك، وأقامت بمصر، وحازت رعاية بعض سلاطين المماليك وأمرائهم، ومن هؤلاء الأمير برقوق العثماني فقبل أن يصبح سلطانًا على العرش، أمر في عام ٧٨١هـ/١٣٧٩م ببناء زاوية للشيخ حاجي رجب الشيرازي الحيدري، وكان هذا الشيخ قد منح لقب " خادم الفقراء "[١٤٢].

أما عن القلندرية فقد توافدوا على مصر كذلك، وسلكوا طريق التسول والشحاذة، وكانوا يحلقون لحاهم وحواجبهم وشواربهم وشعورهم، وكانوا يرتدون دوالق صوفية طويلة بسيطة[١٤٣]. ويشير إليهم ابن جابر البغدادي في هذا الزجل :

لابد تظهر بين الناس ... قلندري محلوق الراس

تلبس عوض دا الكتان ... وحلتك من صوف الخرفان

أو دلق أو تصبح عريان[١٤٤]

وحقيقة هؤلاء كما يروي المقريزي إنهم " قوم طرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخاطبات،وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض، ولم يبالوا بتناول شيء من اللذات المباحة ... ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا، وزعموا أنهم قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى، واقتصروا على ذلك ... "[١٤٥].

علاوة على إنهم أسرفوا في أكل الحشيش وفي ذلك يقول ابن جابر البغدادي:

تغـــدو تـــدور مـــع أجنـــاس — محلقـــين الـــروس أكيـــاس
مـــا يعرفـــوا إلا الخضـــرة — والبنـــك لا شـــرب الخمـــرة

مثقالهـــا بالفـــي جـــرة

وعنـــدهم منـــها أكيـــاس — دانـــق يقـــاوم ســـبعين كـــاس
مـــن قبـــل مـــا تغـــدو مســـطول — تهـــتم في أمـــر المـــأكول

وتطلـــــع الســـــوق بالكشكـــــول[١٤٦]

وكان للقلندرية زاويتان بمصر أحدهما بدمياط وهي زاوية الشيخ جمال الدين الســـاوي، قدوة القلندرية، ويقال أنه كان يدرس في مستهل حياته في خانقاة بالعراق، ثم التقى بزاهـــد جوال، ومارس على أثر ذلك حياة الزهد والتقشف، وسقط شعره وتزي بزي الأسد، بحيث جعل نفسه ميتًا في الدنيا والآخرة، وظل حتى وفاته في دمياط سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢ يحيـــا حياة الزهد المتطرف[١٤٧]. وقد زار ابن بطوطة زاوية الشيخ جمال الدين الساوي هذه، وكان يسكنها أثناء زيارته الشيخ فتح التكروري[١٤٨].

أما عن زاوية القلندرية الثانية فكانت بالقاهرة خارج باب النصر، أنشأها الشيخ حســـن الجوالقي القلندري[١٤٩]، أحد فقرء العجم القلندرية، ولما قدم إلى مصر، تقدم في دولة زيـــن الدين كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م) وتقدم عند سائر أمراء الدولة، وأقبلوا عليه واعتقدوه وأثرى ثراء زائدًا في دولة كتبغا وصحبه إلى بلاد الشام[١٥٠].

ظلت هذه الزاوية متزلاً لطائفة القلندرية، ولهم بها شيخ، وفيها منهم عدد موفور ــ كما يذكر المقريزي[١٥١] ــ وقام السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد ابن قلاوون بزيارتها في عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م، وأمر صوفيتها بترك زي الأعاجم والمجوس والتزي بزي المسلمين، وأنكر عليهم حلق لحاهم واستتابهم، ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله : " إنه كان من اللائق أن يؤمروا بترك أكل الحشيشة الخسيسة، وإقامة الحد عليهم بأكلها وسُكرها، كمـــا أفـــتى بذلك بعض الفقهاء "[١٥٢]. يتضح من عبارات ابن كثير أن ظاهرة أكل الحشيش قد فشت بين القلندرية وانتشرت بشكل زائد لدرجة كانت تتطلب إقامة الحد عليهم بأكلها كما أفتى

بذلك بعض فقهاء العصر، ولا عجب في ذلك فقد أقبلوا على أكل الحشيش منذ أن عرفوا سره، وذاقوا به لذة الكسل، وهربوا من نصب العمل، واستغنوا به عن الخمر، وأكلوه في الأسواق والمشاهد، وهاموا في طلب الرقص والمشاهد كما يذكر ابن دانيال في بابته طيف الخيال(١٥٣).

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أنه كان للقلندرية جامع بقوص، قام ببنائه الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) قبل موته، وكان القلندرية يتقابلون في هذا الجامع سويًا في شهر رمضان، لكي ينالوا نصيبهم من الخراف الطازجة والتوابل والخبز(١٥٤).

ومع تدفق جماعات الدراويش من الحيدرية والقلندرية على كافة أرجاء مصر، والعيش وسط أهلها والتفاعل معهم، أشاعوا في أوساط الناس بعض عاداتهم وممارساتهم الذميمة خاصة في العصر المملوكي الثاني، ومن هذه العادات أكل الحشيش، فانتشر بين العامة وروج له الصوفية الفقراء بدعوى أنه يزيل الهموم ويدخل الفرح والسرور على قلب الإنسان، وما أحوج العامة إلى ما يخفف عنهم ويزيل همومهم، لذلك شاع بينهم وفي ذلك يذكر القلقشندي : " أن الحشيشة يأكلها سفلة الناس وأراذلهم ". أما المقريزي فذكر " لقد عهدناها (أي حشيشة الفقراء) وما يرمي بتعاطيها إلا أراذل الناس، ومع ذلك فيأنفون من انتسابهم لها لما فيها من الشنعة "(١٥٥). مما يوحي بانتشار أكل الحشيش بشكل كبير بين عامة الناس، وقد أورد ابن سودون البشبغاوي في ديوانه أسماء الكثير من العامة ممن أكلوا الحشيش ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ابن حجرمة الهوادفي وأبيه، أبو غيدشه الزلابياني وغيرهم(١٥٦).

وفي أحدى المفاخرات بين بركة الرطلي والجسر وكان مشهورًا بزراعة الحشيش وبيعه وتعاطيه قالت البركة : " .. فمن أصحابك يا كثير الفشار المحيرق وابن المهتار، كم افتضح عندهما من يدب دبيب الزيت، ولا يرجع ولو كان ابن صاحب البيت، ولا يفارق الخيط والكلاب، والدرج والتراب، والمقص والحلقة، والشوكة والخرقة ... "(١٥٧). تلقى هذه العبارات الضوء على نوعية من كانوا يذهبون إلى الجسر من العامة لتعاطي الحشيش بما فيهم الصوفية الفقراء.

ومن الغريب أن تعاطي الحشيش لم يكن قاصرًا على الرجال دون النساء ويؤكد ذلك ما ذكره القسطلاني من " ... أنها (أي الحشيشة) موسومة بالخطر لمن عاناها من أنثى أو ذكر... "[١٥٨]. ويؤكد ذلك قول ابن الوردي في ديوانه يصف مليحة مسطولة فيقول :

مليحة مسطولة إن لمتها فيما جرى
تقول كل ظبية ترعى الحشيش الأخضرا[١٥٩]

ومن ثم فقد انتشر هذا الداء في مجتمعات النساء كذلك.

زراعة الحشيش وتجارته في مصر المملوكية :

تعددت أماكن زراعة الحشيش في مصر المملوكية، فصار يزرع في البساتين إذ يذكر ابن البيطار عن " القنب الهندي " ولم أره بغير مصر يزرع في البساتين، ويقال له الحشيشة عندهم "[١٦٠]. وتعد مدينة دمياط من أشهر أماكن زراعة الحشيش في العصر المملوكي، بل كان محصولاً أساسيًا بها[١٦١].

زرع الحشيش في القاهرة في كل من البستان الكافوري[١٦٢]، أرض الطبالة[١٦٣]، والجسر وبركة الرطلي[١٦٤]، باب اللوق وحكر بولاق[١٦٥].

ظل الحشيش يزرع في البستان الكافوري خلال العصر الأيوبي واستمر خلال العصر المملوكي كذلك، وكان من النوع الجيد، ويضرب به المثل في الحسن، وكان هذا النوع يتناوله الفقراء (أي الصوفية) والسفلة إذ يذكر ابن عبدالظاهر :" أنه (أي البستان الكافوري) كان عرف بالحشيشة التي يتناولها الفقراء والسفلة، وكانت تزرع به ولا ينكر ذلك أحدًا "[١٦٦].

وقال شاعر الفقراء الصوفية نور الدين أبو الحسن بن عبدالله الينبعي لنفسه مادحًا حشيش البستان الكافوري :

أمن المسك قلت ليست من المسـ ـك ولكنها من الكافوري[١٦٧]

وقال الإمام زين الدين أبو عبدالله بن محمد الحنفي لنفسه في تأثير حشيش البستان الكافوري :

وخضراء كافورية بات فعلها بألبابنا فعل الرحيق المعتق

إذا نفحتنا من شذاها بنفحة   تدب لنا في كل عضو ومنطق[١٦٨]

وقال أحمد بن الصائغ (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) في حشيش البستان الكافوري كذلك :

خضراء كافورية رنحت   أعطافه من شدة السكر[١٦٩]

ورغم محاولة السلطان الصالح نجم الدين أيوب إحراق ما كان يزرع في البستان الكافوري من حشيش، إلا أن زراعته ظلت مستمرة في هذا البستان حتى عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م، ففي هذا العام أزيلت جميع أشجار البستان الكافوري واختطت المماليك البحرية والعزيزية به اسطبلات، ودور ومساكن وذلك في عهد المعز أيبك كما يروي ابن عبدالظاهر[١٧٠]. وبذلك وضعت نهاية زراعة الحشيش في هذا البستان.

اشتهرت أرض الطبالة كذلك بزراعة الحشيش وبيعه في العصر المملوكي، وكان بها بقعة تعرف بالجنينة ــ تصغير جنة ــ من أخبث بقاع الأرض كما يصفها المقريزي، إذ اشتهرت ببيع الحشيشة التي يبتلعها أراذل الناس[١٧١].ومن قول الشهاب المنصوري فيها :

كم بالجنينة من أصم وأبكم   ورجلاه في قيد وعيناه في قفل

أشبهه في خلقه بابن آدم   مجازًا وفي أكل الحشيشة بالعجل[١٧٢]

ويقول أيضًا :

كم بالجنينة من قتيل حشيشة   لا يستفيق ولا بنفخ الصور

وهبت لـه الخضراء من أفعالها   آذان أطروش وعين ضرير[١٧٣]

تزاحم الناس على باعة الحشيش في هذه الجنينة، حتى صار يركب بعضهم على بعض كما يروي ابن سودون[١٧٤] وتعجب أحد المارة من هذا الزحام وسأل عنه فقيل له : هذا رجل يبيع البهار، فقلت وأي شيء يكون البهار، قال : شيء يزيد الأفراح، ويزيل الاتراح، من أكل منه كفايته وجلس ساعة سارت به الأسرار في أودية الأفكار، ويرى وهو في مكانه سائر الأقطار، وكان هذا الرجل يحب السياحة والسفر، فتقدم إلى البائع واشترى منه بما يساوي خمسة دراهم، في حين أن الشخص كان يكفيه في خمسة أيام بدرهم[١٧٥].

وهكذا لم تكن أرض الطبالة أرضًا لزراعة الحشيش فقط بل لبيعه، وموطأ قدم لمتعاطيه وآكليه، فقد تكاثر بها الحشاشين، ويتضح ذلك من خلال رواية لابن سودون البشبغاوي(١٧٦). يذكر فيها : أن رجلاً عمر دهرًا طويلاً، وجمع مالاً جزيل، وأراد أن يجعل من ماله للفقراء نصيب، فصنع بمبلغ كبير من المال حلوى عبارة عن قطايف محشية .. وأمر بحملها إلى الجنينة، فصارت الحشاشية تساق إليه وهو يفرقها بالأراطيل على السادة المساطيل، ويخص بالزيادة من ثقل لسانه، واشتبه على أخوانه. ثم سمع من قال له يا صاحب القطايف المحشية هذا جزاء ما أطعمت أخوانك الحشايشية ثم أنشد قال:

أيا من يجمع المال شُتت عُمره ... أتفعل ذا والموت مازال طايفا
فأطعم به أهل الحشيش قطايفا ... ونم تر مثلي في المنام لطايفا

يتضح من تلك الرواية أن الجنينة كانت مركزًا لتجمع متعاطي الحشيش وأهله فضلاً عن باعته وزراعه، وظلت الجنينة كذلك حتى عصر المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) إذ يذكر عند حديثه عن الجنينة بأرض الطبالة " وقد فشت هذه الشجرة الخبيثة (أي شجرة الحشيش) في وقتنا هذا فشوًا زائدًا وولع بها أهل الخلاعة والسخف ولوعًا كثيرًا، وتظاهروا بها من غير احتشام "(١٧٧). وذلك رغم محاولة بعض الأمراء ومنهم الأمير " سودون الشيخوني "(١٧٨) إتلاف ما هناك من هذه الشجرة الملعونة، وقيامه بالقبض على من كان يبتلعها من أطراف الناس ورذلائهم(١٧٩). كذلك صار يشك في كل من يمر بأرض الطبالة حتى أن بعض القضاة وهو القاضي موفق الدين أبو محمد الحنبلي(١٨٠)، حرص على ألا يأخذ بشهادة من يمر بأرض الطبالة، فحدث أن دخل إليه ثلاثة شهود ليشهدوا في مكتوب، فأعلم اثنين وترك الثالث، ومضوا، فحضر إليه الشاهد الثالث وجده وسأله: يا مولانا قاضي القضاة، ما ذنبي أتوب منه، قال : رأيتك منذ أيام مارًا بأرض الطبالة، فقال : الأمر أمركم، كان العبد هناك في ريبة، فمولانا القاضي، ما سبب كونه هنالك، فما كان من قاضي القضاة إلا أن سمع شهادته خشية أن يجيبه الشاهد بأنه كان هناك لضرورة، فيرد عليه بنفس الرد(١٨١).

زرع الحشيش أيضًا في باب اللوق وفي حكر واصل ببولاق، فقد حدد المقريزي تلك الأماكن لزراعته أيضًا(١٨٢). وأكد ابن سودون البشبغاوي ذلك حتى أنه كني أو سمي

الحشيش بالبولاقة نسبة إلى زراعته في بولاق فعند حديثه عن بولاق كواحدة من متنزهات القاهرة قال :

هَتْ لي بولاقه ... يا رايح بولاق
أو جب لي قاقه ... من عند ابن القاق[١٨٣]

اشتهرت أرض الجسر كذلك بزراعة الحشيش، وهو الجسر الذي يفصل بين بركة الرطلي والخليج الناصري، وبنيت به العديد من الدور التي كانت تطل على بركة الرطلي، كما كان الجسر مرتعًا لمتعاطي الحشيش، وقد راح يفاخر بنفسه على بركة الرطلي قائلاً : " إني أبو المحاسن واللطايف والخلاعة والمقاصف، ونزهة الأحداق والمهج، ومحل البسط والفرج، ومربع الأنس في الأوطان ... " فردت عليه البركة قائلة :" يا رديء الطباع، وأخس البقاع تفخر عليَّ بحشيشك الخسيس وتغزوني من الغواة بجنود إبليس "[١٨٤].

وقالت له البركة في موضع آخر :" يا سوق الفسوق، وأخو الجنينة وابن عم باب اللوق"[١٨٥]. وكانت الجنينة وباب اللوق من مواطن زراعة الحشيش وبيعه وتعاطيه كما سبق أن ذكرنا.

لم تلبث أرض بركة الرطلي أن صارت بدورها موطنًا لزراعة الحشيش، وإن زرع فيها في وقت متأخر من العصر المملوكي فيروي ابن إياس في حوادث عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م أن شخصًا يدعى كمال الدين بن قوسان، استأجر أرض بركة الرطلي، وزرع بها الحشيش، وكان كل من يدخل إليها يبتهج بذلك، ولاسيما أصحاب الكيفة من الحشاشين؛ وجاءت إليها أفواجًا يتفرجون على ذلك الحشيش، فعد ذلك من النوادر الغريبة[١٨٦]. وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر :

تناهت بركة الرطلي حسنًا ... وصارت جنة فيها عروش
وقد زرعوا الشدانق في ثراها ... يبدو نسيمها طلع الحشيش[١٨٧]

ويقول آخر:

بمصر لأهل اللهو والتيه بركة ... تولع فيها بالحشيش أولو العقل[١٨٨]

يقول ابن سودون اليشبغاوي[١٨٩] :

بركة الرطلي هواها يكسب الأرواح مناها وترى الجسر حداها

فيــه غـــــزلان راتعين

كم ترى فيه من ملاح انعشوا الأرواح براح ومساطيل في انشراح

للخضيـــر مايليــــــــن

ظلت بركة الرطلي موطنًا لزراعة الحشيش وأكله وتعاطيه حتى عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م حين أمر الأمير الدوادار نائب الغيبة الناس أن لا يسكنوا الجسر الذي ببركة الرطلي، ومنع المراكب من أن يدخلوها، فصارت خاوية على عروشها، ليس بها دُبار ولا نافخ نــار كمـا يروي ابن إياس[١٩٠]. لذلك رثاها الشيخ بدر الدين الزيتوني في قصيدة طويلة قال في بعض أبياتها :

على بركة الرطلي نوحوا وعـددوا لما حل فيها من نكال ومـن خُسـر

كان بهـا الحشـاش يُسـرد بهجـة فمذ قطعوا لذاته صار في فكـر[١٩١]

أما عن تجارة الحشيش فقد راجت في العصر المملوكي، ويرجع ذلك إلى إقبال الكثيرين على شرائه وذلك بسبب رخص سعره، إذ كان في متناول العامة والخاصة وفي ذلك يقـول النور الأسعردي :

وتشربها في العسر واليسـر دائمـا ولا تتقي فيهـا ليـالي التعبـد[١٩٢]

هذا إلى جانب سهولة تناوله في الحدائق والبساتين حيث أماكن زراعتـه، في الأسـواق والمشاهد، في الربط والمساجد وغيرها من أماكن العبادة، وكذلك في الحمامات العامـة[١٩٣] وفي ذلك يقول صاحب المفاخرات : " ولا يختص ببعض المواضع، بل يستعمل في السـوق والجامع .. وليس في تحريمه نص مسموع، ولا علي بائعه حد مشروع ... "[١٩٤].

ويقول النور الأسعردي في هذا المعنى :

وحقك ما بـالخمر بعـض صـفاتها أتشرب جهرًا في رباط ومسجد؟[١٩٥]

ويبدو أن المشاعلية[١٩٦] قد مارسوا تجارة الحشيش، إذ يصف ابن دانيال في البابة الثانية (عجيب وغريب) شخصية المشاعلي ويتحدث عـن مهنتـه والـدور الـذي يلعبـه في المجتمع،ويذكر من بين مهامه أنه مارس تجارة الحشيش، وفي ذلك يقول ابن دانيال : حمـال المشاعل وهو جايل في ميدانه، ومفتخر على أقرانه وينشد قصيدة من أبياتها :

وكـــم لنـــا تجـــارة في خـــير نبـــات خضـــل
حشيشـــة لـــون العـــذار فـــوق خـــد صـــقل
يبيعهـــا للنـــاس أن رخصـــت بيـــع العســـل[١٩٧]

وتوضح هذه الأبيات أن المشاعلية تاجروا في الحشيش، وأن أسعاره لم تكن باهظة لذلك راجت تجارتهم فيه، ولكن ما هو رأي فقهاء العصر في زراعة الحشيش وتجارته ؟

حرم ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) تلميذ ابن تيمية بيع الحشيش مستندًا في ذلك إلى ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن ابن عباس قولـه : " إن الله إذا حرم أكل شيء حرم ثمنـه "[١٩٨]. أمـا الزركشـي (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م) والأقفهسي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) فذكرا أن زراعتها أي الحشيشة لغرض الاسـتعمال والإسكار حرام، ويجوز لغرض التداوي. أما بالنسبة لبيعها فإنه يجوز في رأيهما بيعها لأنـه ينتفع بها في الأدوية كالسقمونيا ... بشرط أن يكون يسيرًا، أما بيعها لمن يتحقق منه تعاطيها فهو حرام[١٩٩]. وهذا يتطلب وقفة لمعرفة رأي فقهاء العصر في تعاطي الحشيش وتناوله.

رأي فقهاء العصر في تعاطي الحشيش :

حار فقهاء العصر المملوكي في أمر تعاطي الحشيش وأكله، فمنهم قلة أفتت بإباحة أكل الحشيش وأجازته، والغالبية العظمى منهم حرمته. وقد استند القلة في إباحته إلى أنه لم يـرد نص في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المشرفة، وكذلك عم وجود نص عنـد فقهـاء المذاهب الأربعة بشأن تعاطي الحشيش وأكله، وقيل في هذا المعنى :

حرموها من غـير عقـل ونقـل وحـرام تحـريم غـير الحـرام

ويقول الشاعر محمد بن علي بن الأعمى أيضًا :

ولا نص في تحريمها عنـــد مالـــك ولا حد عند الشافعي وأحمد[٢٠٠]

ويعد الجمال يوسف بن محمد الملطي (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) قاضي الحنفية[٢٠١] ممـن اشتهروا بالإفتاء بجواز أكل الحشيش، فيذكر ابن حجر[٢٠٢] إنه كان يفتي بإباحة الحشيشـة لذلك أنشده ابن حجر وكأنه يخاطب غيره وإنما عناه قائلاً :

عجبت لشيخ يأمر الناس بـــالتُقى وما راقب الرحمن يوما وما اتقـــى

يرى جائزًا أكل الحشيشـــة والربـــا ومَن سمع الوحي حقـــا تزنـــدقا[٢٠٣]

وأفتى بجواز أكل الحشيش كذلك الشيخ محمد بن محمد بن محمود بن غازي ابن أيـــوب (ت٨١٥هـ/١٤١٢م) وكان نابغة في الفقه والأدب والفنون، واشتغل بالتدريس ونشـــر العلم[٢٠٤].

أما الغالبية العظمى من الفقهاء التي حرمت أكل الحشيش فقد وجدت أنه ليس في عدم ورود تحريمه في الكتاب والسنة ولا عند الفقهاء الأربعة ما يعني أنـــه حـــلال لأن التحـــريم للشيء قد يكون بنص أو إجماع أو قياس، والقياس معناه : الحاق أمـــر لم يـــرد في حكمـــه الشرعي نص من القرآن أو السنة بأمر آخر ورد في حكمه الشرعي نص لاشتراك الأمـــرين في علة الحكم. وأركان قياس الحشيش على الخمر في التحريم متوافرة منها، الإسكار، حجب العقل والذهاب به، إضاعة المال، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وغيرها، ومادام الأمـــر كذلك انسحب حكم الخمر وهو التحريم على الحشيش لاشتراكهما في الحكم. هذا فضـــلاً عن أن الحشيش لم يرد تحريمه باسمه المعروف لا في القرآن ولا في السنة النبويـــة المشـــرفة، وذلك لأنه لم يكن موجودًا في العهد النبوي ولا في عهد الصـــحابة، ولا في عهـــد الدولـــة الأموية[٢٠٥]. وعلى ذلك فقد حمل عدد من الفقهاء في العصر المملوكي حملة شعواء على من أجازوه أو افتوا بأكله وتعاطيه ومن هؤلاء أبو بكر القســـطلاني (ت ٦٨٦هـــــ/١٢٨٧م) الذي راح يتحرى أمر هذه الحشيشة، وهل هي مسكرة ومفســـدة للعقـــل أم لا؛ وذلـــك بالاعتماد على رأي الأطباء والعلماء بأحوال هذا النبات ومنهم ابن البيطار الذي يقول عن

الحشيش (القنب الهندي) : هو يسكر جدًا إذا تناول منه الإنسان يسيرًا قدر درهم[٢٠٦] أو درهمين "[٢٠٧]. كما رجع القسطلاني إلى رأي العلماء الأعلام من أهل الحجاز واليمن والعراق والشام، وفي النهاية أفتى بأن تناول الحشيش حرام اعتمادًا كذلك على الحديث المروي عن خير الأنام " ما أسكر كثيره فقليله حرام "[٢٠٨].

ورد القسطلاني أيضًا على من ادعى أن ما يحدثه الحشيش ليس سكرًا يقضي باختلال، وإنما هو أمر يفرح النفس، ويروح الخاطر ويجمع الهمم ويحضر الفكر، ويشتغل بها السر عن الخوض فيما لا يعنيه؛ رد مستندًا إلى الأضرار الدنيوية والأخروية[٢٠٩] التي تعود على من يتعاطها، إلى جانب مشاهدته لمن تعاطى منها درهمين أو ثلاثة وكيف تؤثر فيه تأثيرًا بليغًا إن لم تقتله[٢١٠] فضلا عن اعتماده على العديد من الأحاديث الصحيحة التي تؤكد تحريم كل مسكر ومفتر، وعلق بأن الحشيش إذا لم يسكر كان مفترًا مخدرًا، لذلك يكثر مستعمله من النوم وتثقل رأسه كثيرًا[٢١١]. ويؤكد ذلك ما روته أم سلمة رضي الله عنها قالت :" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر " والمفتر كل شراب يورث الفتور والخور في الأعضاء، وفي هذا الحديث دليل على تحريم الحشيش لأنه يخدر ويفتر.

رد القسطلاني كذلك على من اعتبر الحشيش دواء، فذكر أن الأدوية نوعان أو ضربان : سليمة فاضلة وخطيرة قاتلة، واعتبر الحشيشة من قبيل الخطيرة القاتلة وذلك بسبب تأثيرها في الأجسام فضلاً عن مضارها الأخرى[٢١٢].

وتصدى أبو بكر القسطلاني لمن أفتى بأكل الحشيش من الفقهاء وقال عنهم : " إنهم سفهاء الأحلام، ضعفاء العقول والأفهام، راموا بذلك التحريض على ارتكاب الآثام، وصدق أن يتلى علهيم في ذلك المقام وهم إلا كالأنعام، ولم يستجيبوا للنهي والأمر في الحلال والحرام، فاقتدى بهم في محبتها من جهل أمرها ... "[٢١٣].

لم يكتف أبو بكر القسطلاني بذلك بل قال :

قد ضل من أفتى بحل شرابها ... فيما عزا للشافعي وأحمد
هي ... حل وار غدت لأحد مثل ... الخمر فيما يعتدي للمعتد[٢١٤]

ووجه دعوة لمحاربة كل من يمدح شرب الحشيش قائلاً :

لا تصغين لمادح شرب الحشيش	فإنه في القول غير مسدد
وانهض بعزمه ماجد في صده	عن قصده بالسوط حينا وباليد[٢١٥]

أما عن شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٢-١٣٢٧م) فقد ذهب في جميع كتاباته إلى أن الحشيشة القنبية حرام فيقول في كتابه " الحسبة في الإسلام" أن كل مسكر من الطعام والشراب حرام، ويدخل في ذلك البتع والمزر والحشيشة القنبية وغير ذلك"[٢١٦]. وأكد ذلك في كتابه السياسية الشرعية حيث يقول : " أن الحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام أيضًا " والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومستفيضة ويقول أيضًا، جمع الرسول صلى الله عليه والسلام، بما أوتيه من جوامع الكلم كل ما غطى العقل وأسكر، ولم يفرق بين نوع نوع، ولا تأثيره لكونه مأكولاً أو مشروبًا ... كل ذلك حرام "[٢١٧].

ونادى ابن تيمية في كتابه الفتاوى بضرورة تحريمها، وأعلن أن الحشيشة الملعونة المسكرة بمنزلة غيرها من المسكرات، والمسكر منها حرام باتفاق العلماء، بل أن كل ما يزيل العقل فإنه يحرم ولو لم يكن مسكرًا : كالبنج[٢١٨]. وذكر في موضع آخر ردًا على من سأله عما يجب على من أدعى أن أكل الحشيشة جائز، حلال، مباح؛ بقوله : " أكل هذه الحشيشة الصلبة حرام، وهي من أخبث الخبائث المحرمة، وسواء أكل منها قليلاً أو كثيرًا .. ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرًا مرتدًا، لا يُغسل، ولا يُصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين "[٢١٩].

أرجع ابن تيمية عدم وجود نص بتحريمها في القرآن والسنة ولا عند أصحاب المذاهب الأربعة إلى أنها ظهرت في آخر المائة السادسة وأوائل المائة السابعة للهجرة حين ظهرت دولة التتار[٢٢٠]. لذلك لجأ في تحريمها إلى القياس معتمدًا على الكثير من الأحاديث مثلما فعل القسطلاني من قبل ومن تلك الأحاديث "الخمر ما خمر العقل"؛ " ما أسكر كثيره فقليله حرام "؛ " كل مسكر خمر وكل مسكر حرام "، فضلاً عن حديث أم سلمة، وحديث السيدة عائشة " كل شراب أسكر فهو حرام "[٢٢١]. وغيرها من الأحاديث. كذلك استند ابن تيمية إلى رأي المحققين من الفقهاء، الذين قالوا بكونها مسكرة لما فيها من النشوة والطرب، وقرر على من يتناولها حد الشرب : ثمانون سوطًا أو أربعون[٢٢٢].

سار ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ/١٢٩١-١٣٥٠م) على نهج أستاذه ابن تيمية فنادى بتحريم الحشيش كذلك قائلاً :" يدخل في تحريم كل مسكر مائعًا كـان أو جامـدًا، عصيرًا أو مطبوخًا، يدخل فيه عصير العنب، وخمر الزبيب والمزر، والذرة، والشعير والعسل والحنطة - اللقمة الملعونة لقمة الفسق والقلب التي تحـرك القلـب السـاكن إلى أخبـث الأماكن... " يقصد الحشيشة واعتبر ذلك كله خمر بنص رسول الله صلى الله عليه وسـلم الصحيح الصريح الذي لا مطعن في سنده، ولا إجمال في متنه، إذ صح عنه قولـه " كـل مسكر خمر "[٢٢٣]. لذلك أخذ بالقياس في تحريمه للحشيش القياس على الخمر، وجعل حـد متعاطيه حد الخمر وهو الجلد ما بين ثمانين وأربعين جلدة[٢٢٤].

وإذا كان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم قد نادا بضرورة تحريمها وبأن حدها هـو الجلـد كالخمر، فإن بعض الفقهاء ومنهم الإمام القرافي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) يعتقد أنهـا مـن المفسدات[٢٢٥] وليست من المسكرات، ومن ثم لا يوجب فيها الحد، ولا يبطل بها الصـلاة، بل التعزير[٢٢٦] الزاجر عن ملابستها[٢٢٧].

واتفق الإمام الرافعي مع القرافي إذ ذكر في باب الشرب : " ما يزيل العقل غير الأشربة كالبنج لا حد في تناوله لأنه لا يلذ ولا يطرب ولا يدعو قليله إلى كثيره "[٢٢٨]. كذلك قال الإمام علاء الدين ابن العطار صاحب النووي وتلميذه وهو الذي جمع فتاويه " أما الحشيشة المسماة الغبيراء المفسدة للعقول والأبدان ... لم أعلم لتحريمها اختلافًا بين علماء الإسـلام الذين أدركتهم، ولكنهم لم يصرحوا بوجوب الحد فيها مع اتفاقهم على وجوب التعزير فيها بالضرب وغيره[٢٢٩].

وذهب فريق ثالث من الفقهاء إلى أن متعاطيها لا يُحد بحال وإن تعمد تناولها فُسق بـه، وإن تناولها خطأ أو للتداوي لم يُفسق[٢٣٠].

هكذا أجمع فقهاء العصر على تحريم الحشيشة ولكن اختلفوا في هل فيها الحد أم التعزير، وكان لكل فريق منهم أدلة على صحة رأيه. ولكن إلى أي مدى طبق حكـم الشـرع في متعاطي الحشيش في العصر المملوكي سواء بإقامة حد الجلد أو بالتعزير ؟

دور الدولة في مكافحة ظاهرة تعاطي الحشيش في مصر المملوكية :

اعترفت دولة المماليك في بداية عهدها بالحشيش، وأباحت زراعته وبيعه وأكله، وذلك لأنها في إطار حاجتها إلى الأموال لجأت إلى العديد من الوسائل المشروعة وغير المشروعة، ففرضت ضرائب ثقيلة على باعة الحشيش وتجاره، عرفت باسم " ضمان الحشيشة " فيذكر ابن حجر :" إنه كان في القاهرة وغيرها من الأعمال على ذلك أي على الحشيش ضمان، وعليه اقطاعات لأناس "[٢٣١]. وقد جمعت الدولة من هذا الضمان " جملة كافية " كما يذكر ابن دقماق[٢٣٢] وسعيا وراء تمويل الخزانة السلطانية بحاجتها من المال، لجأت الدولة المملوكية إلى فرض هذا النوع من الرسوم على باعة الحشيش وتجاره. فعندما عهد السلطان عز الدين أيبك (٦٤٨-٦٦٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م) بالوزارة إلى الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله ابن صاعد الفائزي، أحدث هذا الوزير في مصر مظالم كثيرة على الرعية، ورتب مكوسًا وضمانات على المنكرات من الخمور والحشيش وبيوت الزواني وغيرهم وسماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية[٢٣٣].

ظل ضمان الحشيش معمولاً به حتى أبطله السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م أو سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م، فقد ذكر المقريزي في حوادث شهر ذي القعدة سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م " وفيه أبطل السلطان ضمان الحشيشة الخبيثة، وأمر بتأديب من أكلها "[٢٣٤]. في حين ذكر في موضع آخر " وأبطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وستمائة "[٢٣٥]. وأضاف ابن إياس إلى جانب إبطال السلطان بيبرس ضمان الحشيش وتأديب من أكلها، أمر السلطان كذلك بإحراقها[٢٣٦].

وأصدر السلطان الظاهر بيبرس أوامره بإرسال المراسيم الشريفة بمنع الحشيش وغيره من المنكرات إلى سائر الجهات، وعندما وردت تلك المراسيم إلى القاضي ناصر الدين أحمد بن منصور بن أبي بكر (٦٢٠-٦٨٣هـ/١٢٢٣-١٢٨٤م) قاضي الإسكندرية استبشر بالخبر وقال :

ليس لإبليس عندنا أرب	غير بلاد الأمير مأواه
حَرَمْتَه الخمر والحشيش معًا	حرمته ماءه ومرعاه[٢٣٧]

امتنع الناس عن أكل الحشيش في أيام الظاهر بيبرس غاية الامتناع، وطهرت البلاد منه ويذكر ابن دانيال (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م) الذي زار مصر في أيامه " وقد هزم أمر السلطان جيش الشيطان، وتولى (الخوان) والي القاهرة، إهراق الخمور، وإحراق الحشيش .. وشاعت بذلك الأخبار، ووقع الإنكار، واختفى المسطول في الدار، وأقيمت الحدود... "[٢٣٨].

وقال القاضي ناصر الدين ابن النقيب الفقيسي :

منع الظاهر الحشيش مع الخمـ ـر فولى إبليس من مصر يسعى
قال ما لي وللمقام بأرض لم أمتع فيها بماء ومرعى[٢٣٩]

وعبر ابن دانيال عن حالة آكلي الحشيش عندما سمعوا بخبر السلطان بضرورة إحراق الحشيش وإلغاء ضمانه قال في بابته (طيف الخيال) :

أين عيناه والحشائش تحرقن بنار تُراع منها المجوسُ
قلعوها من البساتين إذ ذاك صغارًا خضراء وهي عروس
والحرافيش حولها يتباكون وهذا يطفئ لهذا الوطيس[٢٤٠]

أبطلت المنكرات كذلك في أيام حسام الدين لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م) ومنها الحشيش، وفي ذلك يقول ابن دانيال :

ذي دولة المنصور لاجين الذي قهر الملوك وكان سلطان الورى
إياك تأكل أخضرا في عصره ياذا الفقير يصير جسمك أحمرا[٢٤١]

شاع أكل الحشيش في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وانتشر انتشارًا واسع النطاق، لدرجة حركت أقلام شعراء عصره ومن هؤلاء فتح الدين أحمد بن الثقفي (ت ٧٠١هـ/١٣٠١م) الذي راح يسوق شعرًا يوضح من خلاله مضار الحشيش وآثاره السيئة على متعاطيه؛ ومن شعره :

محا الله الحشيش وآكليها لقد خبثت لما طاب السلاف
كما تصبى كذا تضني وتشقي لآكلها وغايتها انحراف[٢٤٢]

سعى السلطان الناصر محمد لمكافحة ظاهرة أكل الحشيش، التي شاعت في عصره، فعين واليًا على القاهرة شديد البأس وهو الأمير (قدا دار)[٢٤٣] في سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، فبدأ عهده بتعقب المفسدين، وكبس أماكن زراعة الحشيش، ومنها خط باب اللوق، وأخذ منه شيئًا كثيرًا، وصادر ما فيه من الحشيش وأحرقه عند باب زويله، واستمر يفعل ذلك مدة شهر، وما من يوم إلا ويحرق فيه الحشيش عند ذلك الباب، مما يظهر كثرة كمية الحشيش التي كانت تزرع في باب اللوق. وأثنى السلطان الناصر محمد على جهود الأمير قدا دار وشكره شكرًا زائدًا، ومكنه تمكينًا قويًا[٢٤٤].

استمرت مكافحة الدولة للحشيش ففي ربيع الآخر من عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م قام الأمير الحاج آل ملك[٢٤٥]، نائب السلطنة في عهد الصالح إسماعيل ـ بعد أن دله بعض العامة على موضع يباع فيه الخمر والحشيش ـ بإحضار من يبيعونها، وضربهم في دار النيابة بالمقارع وشهرهم، وخلع على ذلك العامي، وأقامه عنه في إزالة المنكرات[٢٤٦].

رغم جهود الدولة ورجالاتها في مكافحة هذه الظاهرة، إلا أن الناس أقبلوا على أكل الحشيش حتى في أوقات الأزمات التي كانت تحل بالبلاد، فقد انشغل الكثيرون في عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م أثناء الوباء الأسود، الذي حل بمصر في أيام السلطان الناصر حسن، انشغلوا بأكل الحشيش لدرجة قال معها إبراهيم بن المعمار:

قلت لمن بالحشيش مشتغل	ويك أما تخش هذه الكتبة
فالناس ماتوا بكبة ظهرت	قال إني أعيش بالكبة[٢٤٧]

ووقع في دولة الأشرف شعبان بن حسين ما يقرب من هذه الوقعة فحرم السلطان أكل الحشيش في عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، فقال الأديب عينه إبراهيم بن المعمار :

أمر ببلع الحشيشة تكتسب أجران	وتغتنم دعوة المصطول والسكران[٢٤٨]

ومن ثم فإن الأزمات التي كانت تمر بالبلاد لم تؤثر على باعة الحشيش وآكلته، رغم أن مثل هذه الأزمات كانت تدفع الكثيرين إلى البعد عن المعاصي والمنكرات.

لم تأل الدولة جهدًا للحد من ظاهرة أكل الحشيش، فقام الأمير سودون الشيخوني[٢٤٩] في عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، في عهد المنصور علاء الدين علي ـ بتتبع الموضع الذي يعرف بالجنينة من أرض الطبالة، وباب اللوق، وحكر واصل ببولاق وغيرها من أماكن زراعة الحشيش، وأتلف ما هناك من هذه الشجرة الملعونة، وقبض على من كان يتلعها من أطراف الناس ورذلائهم، وعاقب على فعلها بقلع الأضراس، فقلع أضراس كثير من العامة، كما يذكر المقريزي[٢٥٠]. مما يوضح انتشار الحشيش بينهم.

تابع الأمير سودون حملاته وكبساته على أماكن بيع الحشيش، فهاجم في عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، وكان يشغل ساعتها وظيفة نائب السلطنة في دولة الظاهر برقوق، هاجم أحد أماكن تخزين الحشيش وبيعه، واستولى على كميات ضخمة ضبطها هناك، وأتلفها بالتراب تحت أسوار القلعة[٢٥١].

ظل أكل الحشيش حتى عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م يُعد من القاذورات كما يذكر المقريزي، بدليل أن الناس شنعوا على سلطان بغداد أحمد بن أويس، حينما قدم إلى القاهرة فارًا من تيمورلنك، وتظاهر هو وأصحابه بأكلها، لذلك استقبح الناس في مصر فعلهم هذا وعابوه عليهم[٢٥٢]. ولكن في عام ٨١٥هـ/١٤١٢م شنع التجاهر بالشجرة الملعونة ـ كما يروي المقريزي ـ فظهر أمرها، واشتهر أكلها، وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتى لو كادت أن تكون من تحف المترفين[٢٥٣]. مما يوضح أن أكل الحشيش ظل حتى هذا العام يؤكل سرًا وفي الخفاء، ثم بدأ الناس يتجاهرون بأكله دون حياء أو احتشام أو خجل، وزاد الإقبال على أكله بين طوائف الخاصة والعامة، لذلك قام صدر الدين محتسب القاهرة في ربيع الأول عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م بتتبع أماكن الفساد بنفسه ومعه والي القاهرة، فأراق آلافًا من جرار الخمر .. ومنع من التظاهر بالحشيش[٢٥٤].

أما عن ضمان الحشيش خلال تلك الفترة فيذكر ابن حجر أنه كان قد بطل ولله الحمد، ثم أعيد قليلاً بدسائس أهل الظلم والمكر، غير أنه ما لبث أن بطل ثانية، وعاد كما كان بعد مدة قريبة[٢٥٥].

شن السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) حملة شواء على مواضع الفساد، ففي شهر ربيع من عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م شدد السلطان في أمر الحشيش، وأمر بإحراق ما يوجد منه، فأحرق من الحشيش ما لا يحصى كثرة، وأكثر ذلك كان بدمياط

كما يروي ابن حجر[٢٥٦]. مما يوحي بانتشاره وزراعته على نطاق واسع بها، ولم يكتف السلطان بذلك بل حجر عليه جيدًا كما يذكر ابن إياس[٢٥٧].

تتابعت جهود الدولة في عصر برسباي من أجل القضاء على هذه الآفة ففي المحرم من عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م تتبع الأمير قرقماس الشعباني حاجب الحجاب مواضع الفساد، فأرق الخمور، وحرق من الحشيشة المضرة للعقل شيئًا كثيرًا، وذلك بتكليف من السلطان برسباي[٢٥٨]. وفي ذي القعدة من عام ٨٣٩هـ/١٤٣٥م، قام الوالي عمر بن سيفا الشوبكي[٢٥٩] بكسر جرار الخمر، وحجر على الحشيش[٢٦٠].

وفي عهد السلطان الغوري ارتبطت سياسة الدولة في محاربة ظاهرة أكل الحشيش وغيره من المفاسد بما تعرضت له البلاد من أزمات اقتصادية ففي عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م وعلى أثر الطاعون الذي ضرب البلاد في ذلك العام رسم السلطان الغوري لحاجب الحجاب ووالي القاهرة الأمير علان من قراجا بأن يكسروا جرار الخمر، ويحرقوا أماكن الحشيش والبوزة، ولا يبقوا في ذلك ممكنا كما يذكر ابن إياس[٢٦١].

نادى السلطان الغوري كذلك في ٢٦ صفر من عام ٩١٩هـ/١٥١٣م بمنع بيع الحشيش والبوزة وذلك على إثر انتشار الطاعون بالبلاد، واستمر يشهر المناداة بذلك ثلاثة أيام متوالية[٢٦٢]. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على انتشار تلك الظاهرة بشكل كبير في مجتمع مصر المملوكية في تلك الآونة.

ولكن ما إن انتهت الأزمة حتى عاود الناس سيرتهم الأولى، فاستمر بيع الحشيش وأكله، مما دفع السلطان الغوري إلى المناداة بتحريم بيعه مرة أخرى في ذي القعدة من عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، ولكن كما يذكر ابن إياس " لم يسمع له أحد ذلك، ولم ينتهوا عما هم فيه "[٢٦٣]. ومن ثم فقد قوبل قرار السلطان بنوع من السخرية والاستنكار.

ملاحظات على جهود الدولة والفقهاء في مكافحة ظاهرة أكل الحشيش :

أولاً : بذل عدد من السلاطين جهودًا كبيرة في سبيل مكافحة تلك الظاهرة ومحاولة الحد من انتشارها ومن آثارها السلبية،ويأتي على رأس هؤلاء السلطان الظاهر بيبرس، والناصر محمد، برسباي والسلطان الغوري وغيرهم، وقد عهدوا بهذه المهمة إلى كبار رجالات الدولة

وفي مقدمتهم والي القاهرة الذي كان من حقه كما يذكر السبكي[٢٦٤] " الفحص عن المنكرات من الخمر والحشيش، ونحو ذلك وسد الذريعه فيه ". كذلك أوصى العمري[٢٦٥] الوالي بأن يُعقم نسل الخمر .. وكذلك أختها في مخامرة العقل وشقيقتها في التأديب، إن لم يكن الحد لعدم النقل، وهي الحشيشة التي يعرف آكلها دون الناس بعينه..." وشارك الوالي في بعض الأحيان حاجب الحجاب والمحتسب، وفي أحيان قليلة نائب السلطنة وذلك في محاولة للحد من انتشار تلك الظاهرة أو القضاء عليها.

ثانيًا : اتبع السلاطين ورجالات الدولة عدة طرق في مكافحة ظاهرة أكل الحشيش منها: إحراقه، مصادرته، الحجر عليه، إتلافه بالتراب، تحريم بيعه، منع زراعته خاصة في الأماكن التي اشتهرت بزراعته. أما عن آكل الحشيش أو متعاطيه فكان يعاقب أما بالضرب بالمقارع، أو بالتشهير والتجريس[٢٦٦]، أو بقلع الضروس، ولم يتم تطبيق حد الخمر عليه كما نادى بذلك بعض الفقهاء، ومن ثم فقد راحت جهودهم هباء.

ثالثًا : لم تتشدد الدولة في مكافحة تلك الظاهرة إلا في أوقات الأزمات الاقتصادية والأوبئة أي في أوقات الشدة التي تعاني منها البلاد كتأخر الفيضان، أو ارتفاعه، وانتشار الأوبئة والمجاعات وغيرها، في هذه الأوقات يلجأ الناس عادة إلى الله تعالى، ويعتصمون برداء الدين، ويكثرون من العبادة، ويتجنبون المحرمات، ويصدر السلاطين أوامرهم بتحريم الحشيش ومهاجمة مخازنه والبعد عن غيره من المفاسد والمحرمات وعدم ارتكاب المعاصي. ويستجيب الناس وقتيًا حتى تنتهي الأزمة، فتعود الأمور سيرتها الأولى، ويعود الناس إلى التظاهر بأكل الحشيش وغيره.

رابعًا : ساهمت الدولة في نشر ظاهرة أكل الحشيش بين العامة والخاصة، وذلك عن طريق ما فرضته عليه من ضمان عرف بضمان الحشيشة، كان تجارها وباعتها يدفعونه للدولة بانتظام. حقيقة حاول بعض السلاطين إبطاله إلا أنه سرعان ما كان يعود ثانية، ويرى البعض[٢٦٧] أن تجار الحشيش وباعته كانوا يمثلون احتياطيًا ماليًا طارئًا للدولة عندما يضيق بها الحال، فيسعى الولاة والجباة إلى مهاجمة أماكنه ليلاً ومصادرة ما فيها من الأموال، وذلك رغبة من الحكومة في مشاركة هؤلاء التجار في مكاسبهم المالية الباهظة، ومن ثم فقد كان لتجار الحشيش أهمية اقتصادية بالنسبة للدولة كما أن باعته كانوا يعيشون على تلك التجارة

فهي مصدر رزقهم، مما جعل مكافحة الدولة لهذه الظاهرة أمرًا بالغ الصعوبة[٢٦٨] ونظرًا لحاجة الدولة الماسة إلى المال فقد أظهرت أحيانًا بعض التراخي في مكافحة هذه الظاهرة.

خامسًا : لعب الفقهاء ورجالات الدين دورًا في مكافحة هذه الظاهرة مشاركة من جانبهم للدولة، وتمثلت مشاركتهم أما بالكتابة والتأليف، أو استتابة آكليها، فبالنسبة للكتابة فقد أفرد أبو بكر القسطلاني (ت ٦٨٦هـ/١٢٨٧م)[٢٦٩] لها تصانيف منها : تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة، وإتمام التكريم لما في الحشيش من التحريم[٢٧٠]، وحاول فيها إبراز مساوئ الحشيش الدنيوية والأخروية ومضاره على آكليه حتى يبتعدوا عنه. وكذلك صنف الزركشي (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م) زهر العريش في تحريم الحشيش أو زهر العريش في الكلام من الحشيش[٢٧١]. وكتب الأقفهسي[٢٧٢] (أحمد بن عماد بن محمد بن يوسف ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) كذلك كتاب " إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش "[٢٧٣]. ونادى هؤلاء جميعًا من خلال مؤلفاتهم بضرورة تحريم الحشيش لأثره المتلف للعقول والأخلاقيات علاوة عن إشاعة السلوك الإجرامي في المجتمع.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فكان يستتيب آكل الحشيش فحدث في رجب من عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م أن أحضر إليه شيخ كان يلبس دلقًا كبيرًا متسعًا جدًا، يسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمره ابن تيمية بتقطع ذلك الدلق، وحلق رأسه، وتقليم أظافره، وكانوا طوالاً جدًا، واستتابه من كلام الفحش، وأكل ما يغير العقل من الحشيشة، وما لا يجوز من المحرمات وغيرها[٢٧٤]. كما تعالى صوت ابن تيمية موجهًا نداءات إلى الصوفية بالذات بأن يتركوا أكل الحشيشة الخسيسة، ودعا لإقامة الحد عليهم بأكلها وسكرها، كما أفتى بذلك بعض الفقهاء وذلك في عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م[٢٧٥]. هذا فضلاً عما أورده بشأن الحشيش في فتاواه وكتابيه السياسة الشرعية والحسبة في الإسلام وسبق الإشارة إلى ذلك.

غير أن صيحات فقهاء العصر ونداءاتهم، التي تعالت منادية بضرورة الحد من تعاطي الحشيشة وفرض الحد على آكلها أو تعزيره، ضاعت هباءًا ولم تجد آذانًا صاغية، وتفشت ظاهرة أكل الحشيش فشوًا كبيرا في العصر المملوكي.

الحواشي

(١) المعجم الوسيط، ج١، القاهرة ١٩٦٠م، ص١٧٦؛ المعجم الوجيز، القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٥٣.

(٢) القنب نبات حولي غزير النمو، شجري المظهر، وله عدة أنواع، يصنع من أحداها التيل، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من القنب كان يوجد بالإسكندرية بوفرة، ويصنع منه التيل الجيد، وقد شهد بذلك الرحالة طافور الذي زار مصر في القرن ٩هـ/١٥م؛ كذلك ذكر الحسن الوزان أن بني سويف تجود فيها زراعة الكتان والقنب. انظر: أحمد تيمور، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، تحقيق حسين نصار، القاهرة ٢٠٠١م، ج٥، ص١٦٦-١٦٧؛ المعجم الوجيز، ص٥١٦؛ طافور، رحلته في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبشي، القاهرة١٩٦٨م، ص٦٤؛ الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة عبدالرحمن حميدة، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٦٠٩؛ وانظر أيضًا عزت حسين، موسوعة المسكرات والمخدرات الجديدة، القاهرة ١٩٩٠م، ص١٨٩، ١٩٠.

(٣) محمد السيد الأرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، القاهرة ١٩٩٠م، ص٣٦.

(٤) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، القاهرة بدون تاريخ، ص٣٩. أما عن ابن البيطار فقد توفي في ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، وانظر ترجمته في الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، بيروت بدون تاريخ، ص٢٣٤.

(٥) انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، م٢، ص١٢٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٢، ص١٥٣؛ وانظر أيضًا :

Franz Rosenthal, The Herb Hashish versus Medieval Muslim Society, Leiden 1971, p. 22.

(٦) عنه انظر ما يلي هامش ٨٣.

(٧) المواعظ، ج٢، ص١٢٧.

(٨) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٧.

(٩) مخطوط بدار الكتب المصرية، فقه المذاهب الأربعة، ميكروفيلم رقم ٤٦٦٤٢، ورقة ٨٦-٨٧. وعن مسميات الحشيش انظر أيضًا : Rosenthal, The Herb, pp, 19-41

(١٠) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص١٢٦-١٢٨.

(١١) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(١٢) ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس، تحقيق منال محرم عبدالجيد، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٣٧٣.

(١٣) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨، ص١٢٩.

(١٤) ديوان نزهة النفوس، ص٢١٥.

(١٥) زهر العريش في تحريم الحشيش، مخطوط بدار الكتب المصرية، فقه تيمور ٧٢٥، ميكروفيلم رقم ١٢٤٩٤، ورقة ٢. وقد قام روسنتال Rosenthal بنشرها كملحق في كتابه The Herb انظر p.176

(١٦) أما عن تسمية الحشيشة بالغبيراء فقد ذكر ابن الوردي في خريدة العجائب أن الغبيراء شجرة خشبها أصبر من كل خشب الماء كالأرز والتوت، وزهرها إذا شمتها المرأة هاجت بها شهوة الجماع حتى تطرح الحياء، والتنقل بثمرها يبطئ السكر، ويحبس القيء، وينفع من إكثار البول، ص١٧٦. وقيل أن الغبيرة هي شجرة الزقوم التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى [لَآكِلُونَ من شَجَرٍ مِّن زَقُومٍ] الواقعة ٥٢، وفي قوله تعالى [أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ] الصافات ٦٢، وانظر أيضًا الدخان آية ٤٣. وعن شجرة الزقوم انظر الإمام القشيري، تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، القاهرة ١٩٧١م، ص٨٩؛ وانظر أيضًا : Rosenthal, The Herb, pp. 46-47.

(١٧) عن حيدر، انظر ما يلي هامش ٨٣.

(١٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٧؛ وانظر أيضًا: الجوبري، المختار في كشف الأسرار، دمشق ١٣٠٢هـ، ص٢٩.

(١٩) الزركشي، زهر العريش، المخطوط ورقة ٢ ، ونشر روسنتال، ص١٧٧، وعن القلندري، انظر ما يلي، ص .

(٢٠) المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(٢١) الأقفهسي، إكرام بن يعيش بتحريم الخمر والحشيش، طنطا ١٩٩١م، ص٦٢

(٢٢) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٨؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، ص٣٩.

(٢٣) نزهة النفوس ومضحك العبوس، ص٢٠٦.

(٢٤) نقلاً عن : Rosenthal, The Herb, pp. 57-58

(٢٥) تكريم المعيشة، ورقة ٤١.

(٢٦) تكريم المعيشة، ورقة ٤٢.

(٢٧) السياسة الشرعية، ص٦١؛ وانظر أيضًا : Rosenthal, The Herb, pp. 64-65.

(٢٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٦.

(٢٩) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، بيروت ١٩٧٣م، ص٢٧٤.

(٣٠) يحيى بن ماسويه من علماء الأطباء، سرياني الأصل مستعرب، كان أحد من عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم، وقام بمعالجة الرشيد والمأمون ومن بعدهم إلى أيام المتوكل وتطبيب مرضاهم. له نحو أربعين كتابًا كلها في الطب، وتوفي

بسامراء ٢٤٣هـ. انظر: الحسن بن زولاق، تراجم كتاب أخبار سيبويه المصري، نشر محمد إبراهيم أسعد وحسين الديب، القاهرة ١٤١٠هـ، ص٧٠-٧١.

(٣١) نقلاً عن المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(٣٢) نزهة النفوس، ص٢٠٦.

(٣٣) Rosenthal, The Herb, pp. 57-58.

(٣٤) الزركشي، زهر العريش، نشر روسنتال، ص١٩٤؛ والأقفهسي، إكرام من يعيش، ص٦٣.

(٣٥) الزركشي، زهر العريش، نشر روسنتال، ص١٩٥؛ الأقفهسي، إكرام من يعيش، ص٦٣.

(٣٦) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، ص٣٩.

(٣٧) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٨.

(٣٨) مجهول المؤلف، المفاخرات الباهرة بين عرائس متنزهات القاهرة، دراسة وتحقيق وتعليق محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩م، ص٣٩-٤٠.

(٣٩) الزركشي، زهر العريش في تحريم الحشيش، مخطوط، ورقة ٣.

(٤٠) الأقفهسي، إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش، ص٦٥.

(٤١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٣٤، ص٢٢٢.

(٤٢) المواعظ، ج٢، ص١٢٨.

(٤٣) صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٢، ص١٥٣.

(٤٤) الأقفهسي، إكرام، ص٦٥.

(٤٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد النجدي، المبطعة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، ج٣٤، ص٢٠٥، ٢٢٣.

(٤٦) المفاخرات الباهرة، ص٤٢.

(٤٧) ابن البيطار، الجامع، ج٣، ص٣٩؛ وانظر أيضًا: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(٤٨) الجامع لمفردات الأدوية، ج٣، ص٣٩؛ وانظر أيضًا: المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٨.

(٤٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٣٤، ص٢٠٥، ٢٢٤.

(٥٠) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١، ص٥٥٠-٥٥١. والجندار هو الأمير الذي يستأذن عند دخول الأمراء الخدمة السلطانية ويدخل أمامهم إلى الديوان.

(٥١) نزهة النفوس، ص٢٠٦-٢٠٨

(٥٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٢٧٥.

(٥٣) نزهة النفوس، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٥٤) نزهة النفوس، ص٢٠٩-٢١٠.

(٥٥) انظر الزركشي، زهر العريش، مخطوط ورقة ٥؛ والأقفهسي، إكرام من يعيش، ص٦٢. وقد أورد روستتال هذا البيت في نشره لزهر العريش على النحو التالي :

دية العقل بدرة فلماذا　　　　يا سفيها قد بعتها بحشيشة

The Herb, p. 179 .

(٥٦) إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش، ص٦٥؛ وانظر أيضًا الزركشي، زهر العريش، مخطوط ورقة ٣-٤.

(٥٧) انظر أبو بكر القسطلاني، إتمام التكريم لما في الحشيش من التحريم، ورقة ٥٦؛ الزركشي، زهر العريش، مخطوطورقة ٣، ٤؛ ونشر روستتال، ص١٧٧-١٧٨.

(٥٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٨١.

(٥٩) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٢٧٥.

(٦٠) نزهة النفوس، ص٢٠٢.

(٦١) نزهة النفوس، ص٣٧٣.

(٦٢) تكريم المعيشة بتحريم الحشيشة، ورقة ٣٠-٣١.

(٦٣) إتمام التكريم لما في الحشيش من التحريم، ورقة ٥٩-٦٠.

(٦٤) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص٦٠.

(٦٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٣٥، ص٢٢٤.

(٦٦) الزركشي، زهر العريش، المخطوط، ورقة ٣، والمنشور Rosenthal, The Herb, p.178. ؛ الأقفهسي، إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش، ص٦٥.

(٦٧) انظر : الزركشي، زهر العريش، ورقة ٧، والمنشور Rosenthal, The Herb, p. 182

(٦٨) زهر العريش، نشر روستتال، ص١٨٧.

(٦٩) إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش، ص٦٥؛ وانظر أيضًا الزركشي، زهر العريش المخطوط، ورقة ٣، والمنشور Rosenthal, The Herb, p. 178

(٧٠) تكريم المعيشة، ورقة ٢٤.

(٧١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٣٤، ص٢٢٤.

(٧٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(٧٣) ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس، ص١٤٧.

(٧٤) نقلاً عن المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(٧٥) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، ص٣٩.

(٧٦) المكافاة، تنسيق وتصحيح وتعليق، أمين عبدالعزيز، مصر ١٩١٤م، ص٨٨-٨٩.

(٧٧) هو محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زُرعة الثقفي، ولي قضاء مصر في سنة ٢٨٤هـ في إمارة خماويه بن أحمد بن طولون أو في عهد هارون ابنه، وكان محمودًا في ولايته، ثقة، كما كان حسن المذهب عفيفًا عن أموال الناس، وظل على القضاء في مصر حتى صرفه محمد بن سليمان الكاتب في عام ٢٩٢هـ، ومات في عام ٣٠١ أو ٣٠٣هـ. لمزيد من التفاصيل حول سيرته انظر: الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق رفن كست، بيروت ١٩٠٨م، ص٥١٨-٥٢٣.

(٧٨) انظر : الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٥٢١؛ وانظر أيضًا، أحمد عبداللطيف، " الأمراض الاجتماعية في مصر الإسلامية ففي عصر الدولة الطولونية "، بحث منشور في مجلة آداب قنا، العدد الثامن، ١٩٩٨م، ص١٢٧.

(٧٩) ممدوح عبدالرحمن، المساوئ الاجتماعية في مصر الفاطمية ومقاومة الخلفاء الفاطميين لها، ص٤٠.

(٨٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج٣٤، ص٢٠٥.

(٨١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج٣٤، ص٢١١.

(٨٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج٣٤، ص٢١٤

(٨٣) ولد بنشاور من بلاد خراسان، وأقام في زاوية في جبل وفي صحبته جماعة من الفقراء (الصوفية) وخرج من زاويته في يوم منفردًا بنفسه إلى الصحراء، ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف العادة، ولما سأله أصحابه، قال لهم : أنه وجد في الصحراء شيء من النبات ساكنًا لا يتحرك لعدم الريح وشدة القيظ، ومر بنبات له ورق فرأيته في تلك الحالة يميس بلطف ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان، فقطف منه أوراقًا وأكلها، وأخذ أصحابه لوقفهم على هذا البات فلما شاهدوا هذا النات عرفوا أنه القنب، وأمرهم الشيخ حيدر بأن يأكلوا منه، فأشاع فيهم الفرح والسرور، وأمرهم بزراعته بزاويته. وظل يتناول منه عشر سنين حتى توفى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م بعد أن أوصاهم بأن يوقفوا ظرفاء أهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار وسره. المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٦.

(٨٤) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٧.

(٨٥) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٨.

(٨٦) عن زراعة الحشيش في البستان الكافوري، انظر ما يلي ص .

(٨٧) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٥-٢٦؛ وانظر أيضًا شلبي إبراهيم، العامة في العصر الأيوبي، ص١٥٠.

(٨٨) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٦.

(٨٩) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٦.

(٩٠) لمزيد من التفاصيل عن شرب السلاطين الخمر، انظر إسماعيل عبدالمنعم محمد قاسم، "الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الارستقراطية المملوكية في مصر زمن المماليك البحرية"، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس ١٩٨٨م، ص١٥٤ وما يليها؛ عبدالمنعم ماجد، نظم دولة المماليك ورسومهم، ج١، ص١١٧.

(٩١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، ص٦٢؛ وانظر ترجمة المؤيد شيخ في ... العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمد الخليلي، بيروت ٢٠٠٢م، ج٢، ص

(٩٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، ق١، تحقيق سعيد عاشور، ص٥٥٠-٥٥١.

(٩٣) المقريزي، المقفى الكبير، ج٧، ص٧١، حاشية ٣.

(٩٤) مجهول، المفاخرات الباهرة بين عرائس متنزهات القاهرة، ص٤٢-٤٣؛ وانظر أيضًا : عبدالمنعم ماجد، نظم دولة المماليك، ج١، ص١١٧؛ إسماعيل عبدالمنعم، الأمراض الاجتماعية، ص١٥٤، ١٦٦؛ وعن أرض الطبالة وبركة الرطلي والجسر انظر ما يلي هوامش ١٦٣، ١٦٤.

(٩٥) التاج الشوبكي توفى (٨٣٩هـ/١٤٣٥م)، انظر ترجمته عن ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٦م، ترجمة رقم ٧٥٢، ص٥-٨؛ السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ج٣، ص٢٤-٢٥؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٨٣-٩٨٤.

(٩٦) نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشي، ج٣، ص٣٥٧-٣٥٨؛ وانظر أيضًا : ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٥-٦، ٨.

(٩٧) توفى عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، انظر ترجمته المطولة عند ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٧٨-٣٨٠. وعن تأثير الحشيش عليه، انظر : المقريزي، المقفى الكبير، ج١، ص٧٤٣-٧٤٥، ترجمة رقم ٦٨٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص١٤٣؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٠٣-٤٠٤.

(٩٨) ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص٣٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، م٧، ص٣١٩.؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٠٤.

(٩٩) ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص٣٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، م٧، ص٣١٩.

(١٠٠) ابن كثير، البداية والنهاية، م٧، ص٣١٩.

(١٠١) ابن حجر، الدرر، ج١، ص٨٥، ترجمة رقم ٢١٩.

(١٠٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٥١٤.

(١٠٣) أبو بكر القسطلاني، تكريم المعيشة، ورقة ٤٠.

(١٠٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٩١.

(١٠٥) ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، لبنان ١٤١٥هـ، ص١٤٦.

(١٠٦) ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص٣٤٧.

(١٠٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٣٨٠.

(١٠٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٧؛ وانظر أيضًا : مجهول المؤلف، المفاخرات الباهرة بين عرائس متنزهات القاهرة، ص٤٠.

(١٠٩) انظر ترجمة إبراهيم بن علي المعمار في ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص١٧٤؛ وانظر أيضًا : أحمد صادق الجمال، الأدب العامي في العصر المملوكي، ص١٨٥-١٨٩.

(١١٠) إبراهيم الدسوقي، ابن مكناس والشعر في عصر المماليك، القاهرة ١٩٩٠م، ص٢٥، ٢٦.

(١١١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٨١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، م٧، ص٣٢٠؛ وانظر أيضًا : أحمد صادق الجمال، الأدب العامي في العصر المملوكي، ص٦٣؛ ياسين الأيوبي، آفاق الشعر، ص٣٤٧؛ وانظر ما سبق.

(١١٢) الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٩٢م، ص١٨٣.

(١١٣) انظر ترجمته في الأدفوي، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة ١٩٦٦م، ص٦٨٦-٦٨٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٣٩٩.

(١١٤) الأدفوي، الطالع السعيد، ص٦٨٧.

(١١٥) انظر ترجمته في الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، م٣، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٤م ص٢٧١-٢٧٥، ترجمة رقم ٤٢٢.

(١١٦) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، م٣، ص٢٧٤.

(١١٧) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، م٣، ص٢٧٤.

(١١٨) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، م٣، ص٢٧٤.

(١١٩) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، م٣، ص٢٧٤؛ أحمد صادق الجمال، الأدب العامي، ص٦٣-٦٤.

(١٢٠) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، م٣، ص٢٧٤.

(١٢١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، م٣، ص٢٧٤-٢٧٥.

(١٢٢) ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، ص٢٧٢، ترجمة ٦٥٨؛ وانظر أيضًا : ابن قاضي شهبة، تاريخه، م٢، تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٩٤م، ص٥٦٦.

(١٢٣) انظر ترجمته في الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٠٧-٣٠٨.

(١٢٤) يقصد بولاق.

(١٢٥) نزهة النفوس، ومضحك العبوس، تحقيق منال محرم عبدالمجيد، القا[illegible] ٢٠[illegible]م، ص١٨٦-١٨٧.

(١٢٦) نزهة النفوس، ص٣٠١.

(١٢٧) نزهة النفوس، ص٣٠٢.

(١٢٨) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٨.

(١٢٩) ابن تيمية، مجموع فتاوى، ج٣٤، ص٢١٠؛ وانظر أيضًا : سعيد عاشور، المجتمع المصري في العصر المملوكي، ص٢٥٢.

(١٣٠) إبراهيم الدسوقي، ابن مكناس والشعر في عصر المماليك، ص٣٠.

(١٣١) المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(١٣٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٦.

(١٣٣) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢م، ص٢٥٣.

(١٣٤) ابن كثير، البداية والنهاية، م٧، ص٤٠٧.

(١٣٥) الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٥.

(١٣٦) أحمد صبحي، العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف، القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٠٠.

(١٣٧) معيد النعم ومبيد النقم، ص١٢٥.

(١٣٨) النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، القاهرة ١٩٧٠م، ص٢٩-٣٠.

(١٣٩) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٥-٢٦؛ وانظر أيضًا : أحمد صادق الجمال، الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي، القاهرة ١٩٦٦م، ص٦٢.

(١٤٠) معيد النعم ومبيد النقم، ص١٢٥.

(١٤١) توفى في عام ٦١٨هـ/١٢٢١م. لمزيد من التفاصيل انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٦؛ وانظر ما سبق هامش ٨٣.

(١٤٢) ابن كثير، البداية والنهاية، م٧، ص١٧٩؛ آدم صبره، الفقر والإحسان في مصر عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠-١٥١٧م، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٥٣.

(١٤٣) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت بدون تاريخ، ص٣٠؛ وانظر أيضًا الجوبري، كشف الأسرار، ص٣٠؛ طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر، ترجمة حسن حبشي، ص٦١. الدوالق مفردها دلق وهو رداء يتكون من عدة قطع من القماش على ألوان مختلفة يشبه العباءة وكان يرتديه المتصوفة.

(١٤٤) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج١، أسكندرية بدون تاريخ، ص٨١

(١٤٥) المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٣٢-٤٣٣.

(١٤٦) عن إسراف المتصوفة في أكل الحشيش. انظر: الجوبري، كشف الأسرار، ص٢٩؛ محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج١، ص٨١.

(١٤٧) آدم صبره، الفقر والإحسان، ص٥٢.

(١٤٨) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٣٠.

(١٤٩) انظر ترجمته في ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢، ترجمة ١٥٧٩، ص١٣٥-١٣٦.

(١٥٠) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٤٣٣؛ وانظر أيضًا : محمد المرسي حسن، " الزوايا في العصر المملوكي بالقاهرة "، رسالة ماجستير غير منشورة، آثار القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٨؛ آدم صبره، الفقر والإحسان، ص٥٣. وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ حسن الجوالقي توفى في عام ٧٢٢هـ.

(١٥١) المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٣٣.

(١٥٢) البداية والنهاية، م٧ ص٧٠٩؛ وانظر أيضًا : ابن قاضي شهبه، تاريخه، م٣، ص١٦٣

(١٥٣) خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، تحقيق إبراهيم حمادة، القاهرة ١٩٦١م، ص١٤٩.

(١٥٤) آدم صبره، الفقر والإحسان، ص٥٣.

(١٥٥) المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(١٥٦) انظر ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس، ص٢٠٥-٢١٠؛ وانظر أيضًا : ص٢١٣-٢١٧، ص٣٦٦ وغيرها.

(١٥٧) مجهول المؤلف، المفاخرات الباهرة، ص٤٣-٤٤.

(١٥٨) تكريم المعيشة، ورقة ٣٢.

(١٥٩) علي السيد، الجواري في مجتمع مصر المملوكية، القاهرة ١٩٨٨م، ص٤٨؛ سامية مصيلحي، " البغاء في مصر في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧ "، بحث منشور في حوليات آداب عين شمس، مجلد ٣٣، مارس ٢٠٠٥م، ص١١٩.

(١٦٠) الجامع لمفردات الأدوية، ج٣، ص٣٩.

(١٦١) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج٨، ص١٣٩، ١٤٩؛ سهام أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١٩٦؛ عبدالمنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج١، ص١١٧؛ Rosenthal, The Herb ,p. 132.

(١٦٢) البستان الكافوري أنشأه محمد بن طغج الأخشيد (٣٢١-٣٣٤هـ ... م) ولما قدم جوهر الصقلي إلى مصر في عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، جعل هذا البستان داخل القاهرة، وعرف في الدولة الفاطمية بالبستان الكافوري. انظر ابن عبدالظاهر، الروضة البهية في القاهرة المعزية، ص٦٢-٦٣؛ المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٥.

(١٦٣) تنسب أرض الطبالة إلى نسب طبالة الخليفة المستنصر الفاطمي، وكان الخليفة قد منحها الأرض المجاورة للمقس، فعرفت بها، وذلك منذ عام ٤٥٠هـ/١٠٥٩م، وظلت تعرف بها حتى العصر المملوكي. لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٥-١٢٦.

(١٦٤) كان الجسر يقع بأرض الطبالة وكان يفصل بين بركة الرطلي وبين الخليج الناصري أقامه الأمير الوزير سيف الدين بكتمر الحاجب في سنة ٧٢٥هـ عندما انتهى من حفر الخليج الناصري، وأذن للناس في البناء عليه فحكر وبنيت فوقه الدور، فصارت تشرف على بركة الرطلي وعلى الخليج. انظر: المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٦٢، ١٦٥-١٦٦. أما عن بركة الرطلي فهي جملة أرض الطبالة، وعرفت أيضًا ببركة الطوابين من أجل إنه كان يعمل فيها الطوب، وكان في شرقيها زاوية بها نخل كثير، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التي تزن بها الباعة، فسماها بركة الرطلي نسبة لصانع الأرطال. لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٦٢.

(١٦٥) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٥، ١٢٥-١٢٦، ١٢٨.

(١٦٦) الروضة البهية، ص٦٣.

(١٦٧) ابن عبدالظاهر، الروضة البهية، ص٦٣؛ المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٥.

(١٦٨) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٥.

(١٦٩) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص٢٦.

(١٧٠) الروضة البهية، ص٦٢؛ وانظر أيضًا : القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٤٨؛ .Rosenthal, The Herb, p. 135

(١٧١) المواعظ، ج٢، ص١٢٦.

(١٧٢) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص٦١.

(١٧٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦١.

(١٧٤) ديوان نزهة النفوس، ص٢١٥-٢١٦.

(١٧٥) عن الدرهم انظر ما يلي هامش ٢٠٦.

(١٧٦) ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس، ص٢١١-٢١٣.

(١٧٧) المواعظ، ج٢، ص١٢٦.

(١٧٨) سودون الشيخوني عنه انظر ما يلي هامش ٢٤٩.

(١٧٩) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٨.

(١٨٠) انظر ترجمته عند ابن حجر، رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، ص٢٠٠-٢٠١. وتجدر الإشارة إلى أنه من قضاة المائة الثامنة.

(١٨١) ابن حجر، رفع الآصر، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٩٩٨م، ص٢٠١.

(١٨٢) المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(١٨٣) ديوان نزهة النفوس، ص٢٨٦.

(١٨٤) مجهول، المفاخرات الباهرة، ص٣٧-٣٨.

(١٨٥) مجهول، المفاخرات الباهرة، ص٤٥.

(١٨٦) بدائع الزهور، ج٤، ص١٥٦.

(١٨٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٥٦.

(١٨٨) ابن ظهيره، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٦٩م، ص٢١١.

(١٨٩) ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس، ص٣٧٣.

(١٩٠) بدائع الزهور، ج٥، ص٥٦-٥٧.

(١٩١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٥٨.

(١٩٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٣٧٤.

(١٩٣) Rosenthal, The Herb, pp. 66,67-68.

(١٩٤) مجهول، المفاخرات الباهرة بين عرائس متنزهات القاهرة، ص٣٩-٤٠.

(١٩٥) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٣٧٣.

(١٩٦) عن المشاعلية انظر نجوى كيره : " المشاعلية وأثرهم في المجتمع المصري خلال العصر المملوكي "، بحث منشور في كتاب المجتمع المصري في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٨٧، ٨٩، ١٠٥، ١٠٦، ١١٢.

(١٩٧) خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، دراسة وتحقيق إبراهيم حمادة، ص٢٢٥، ٢٢٨، ٢٩؛ وانظر أيضًا : عبادة كحيلة، الرط، القاهرة ١٩٩٤م، ص١٠٤؛ نجوى كيره، المشاعلية، ص٨٧، ٨٩، ١٠٥، ١٠٦، ١١٢.

(١٩٨) زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، ج٥، بيروت ١٩٩٨م، ص٦٦١.

(١٩٩) الزركشي، زهر العريش في تحريم الحشيش، مخطوط ورقة ١٧، والمنشور؛ انظر Rosenthal, The Herb, pp. 195-196 ؛ الأقفهسي، إكرام من يعيش، ص٦٦، ٦٧.

(٢٠٠) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٧.

(٢٠١) انظر ترجمته عند ابن قاضي شهبه، تاريخه، م٤، ص٢٠٥-٢٥١؛ ابن حجر، رفع الأصر عن قضاة مصر، ص٤٧٧؛ إنباء الغمر، ج٤، ص٣٧٦-٣٥٠؛ السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ج٥، ص٢٠٥، الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت بدون تاريخ، ج٧، ص٤٠-٤١.

(٢٠٢) رفع الأصر عن قضاة مصر، ص٤٧٧ (ترجمة ٢٥٩)؛ انظر : الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٤٠.

(٢٠٣) رفع الأصر، ص٤٧٧.

(٢٠٤) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج٢، ق٣، ص٥٩١.

(٢٠٥) محمد السيد الأرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، القاهرة ١٩٩٠م، ص١٢٣، ١٢٤.

(٢٠٦) وزن الدرهم يساوي ٣,١٢٥ جرام. انظر: فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمان ١٩٧٠م، ص٤٧؛ Rosenthal, The Herb, p. 73. note 2

(٢٠٧) انظر ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، ص٣٩؛ أبو بكر القسطلاني، تكريم المعيشة، ورقة ٢٣.

(٢٠٨) تكريم المعيشة، ورقة ٢٥.

(٢٠٩) انظر ما سبق، ص .

(٢١٠) إتمام التكريم، ورقة ٦١.

(٢١١) إتمام التكريم، ورقة ٨٦.

(٢١٢) إتمام التكريم، ورقة ٨٤، ٨٥.

(٢١٣) تكريم المعيشة، ورقة ٣٣.

(٢١٤) تكريم المعيشة، ورقة ٤٢.

(٢١٥) أبو بكر القسطلاني، تكريم المعيشة، ورقة ٤٢.

(٢١٦) نشرها قصي محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ص٣٦. أما المزر فشراب يصنع من الذرة، في حين أن البتع هو من نبيذ العسل وكان يصنع في اليمن، انظر : مجموعة فتاوى شيخ الإسلام، ج٣٤، ص١٩٧، ٢١٥

(٢١٧) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، نشرها قصي محب الدين الخطيب، ص٦٠، ٦١.

(٢١٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج٣٤، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢١٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٣٤، ص٢١٠، ٢١٣.

(٢٢٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٣٤، ص٢٠٥، ٢١٤.

(٢٢١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج٣٤، ص١٩٧، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٤؛ وانظر أيضًا . ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ص٢٨٠.

(٢٢٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٣٤، ص٢١١، ٢١٢. قال عليٌّ رضي الله عنه : حَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر أربعين وأبو بكر أربعين وكملها عمر ثمانين. ومن ثم فقد جعل ابن تيمية الجلد بين ثمانين جلدة وأربعين جلدة عملاً بهذا الحديث. انظر ابن حجر، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ص٢٧٩.

(٢٢٣) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج٥، ص٦٦٢

(٢٢٤) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج٥، ص٤٢، ٦٦٤.

(٢٢٥) المفسد هو المشوش للعقل مع عدم السرور في الغالب كالبنج، انظر القرافي، كتاب الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق، ج١، دراسة وتحقيق محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، ص٣٦٤.

(٢٢٦) التعزير لغة الرد والمنع وشرعًا : تأديب على ذنب لا حد فيه، من ثم فهو تأديب دون الحد وليس فيه شيء مقدر إنما هو متروك لرأي الإمام أو الحاكم حسب المصلحة، وحده الأدنى النصيحة ويتدرج إلى الضرب والإعدام. انظر ابن حجر، بلوغ المرام في أدلة الأحكام، ص٢٨١، هامش ٢ ، ٣.

(٢٢٧) الفروق، ج١، ص٣٦٤.

(٢٢٨) انظر الزركشي، زهر العريش، المنشور p. 189 ؛ الأقفهسي، إكرام من يعيش، ص٦١.

(٢٢٩) انظر : الزركشي، زهر العريش، المنشور P. 187

(٢٣٠) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٢، ص١٥٣-١٥٤.

(٢٣١) إنباء الغمر بأبناء العمر، ج٨، ص١٣٩؛ وانظر أيضًا : سهام أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١١٤؛ عبدالمنعم ماجد، نظم سلاطين المماليك ورسومهم، ج١، ص١١٧.

(٢٣٢) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، بيروت ١٩٨٥م، ج٢، ص٧٤.

(٢٣٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٨٤؛ سامية مصيلحي، البغاء في مصر، ص١١٤.

(٢٣٤) السلوك، ج١، ق٢، ص٥٥٠.

(٢٣٥) المواعظ والاعتبار، ج١، ص١٠٦؛ وانظر أيضًا : ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٧٤؛ ابن إياس، ج١، ق١، ص٣٢٦.

(٢٣٦) بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٢٦.

(٢٣٧) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٥٣-٥٥٤؛ المواعظ والاعتبار، ج١، ص١٠٦؛ بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في تاريخ الدولة التركية، نشر عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة ١٩٨٧م، ص٥٦.

(٢٣٨) ابن دانيال، خيال الظل، تحقيق إبراهيم حمادة، ص١٥٠؛ وانظر أيضًا : ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٢٣٩) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢٤٠) ابن دانيال، خيال الظل، ص١٥٢؛ وانظر أيضًا : ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٢٧.

(٢٤١) نقلاً عن ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٣٣٥؛ أحمد صادق الجمال، الأدب العامي، ص٢٠٦.

(٢٤٢) الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢.

(٢٤٣) توفي في عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، انظر ترجمته في ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٣، ص٣٢٨-٣٢٩، ترجمة رقم ٣٢٤٠؛ المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٤٨-١٥٠؛ Rosenthal, The Herb, p..

(٢٤٤) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٤٩؛ السلوك، ج٢، ص٢٥٦، ج٢ ق٢، ص٣٢٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٢٨-٣٢٩؛ أحمد عبدالرازق، شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٨٢م، ص٢٣؛ سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٩٤.

(٢٤٥) انظر ترجمته في ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، ص٤٣٩-٤٤٠.

(٢٤٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٦٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، مصر ١٢٩٩هـ، ص٢١٣-٢١٤؛ ليلى عبدالجواد، " نائب السلطنة في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية "، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، العدد الأول ١٩٨٨م، ص١٩٢؛ محمد عبدالغني الأشقر، نائب السلطنة المملوكية في مصر، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٩٧.

(٢٤٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٣٢.

(٢٤٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٧٧.

(٢٤٩) انظر ترجمة الأمير سودون الشيخوني عند ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، تحقيق محمد محمد أمين، ترجمة رقم ١١٢٨، ص١٠٤-١٠٩؛ النجوم، ج١٢، ص١٥١-١٥٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٣٠٣-٣٠٤؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٨٦٥.

(٢٥٠) المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٨.

(٢٥١) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩، م٢، ص٩؛ قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٨م، ص٧١.

(٢٥٢) المقريزي، المواعظ، ج٢، ص١٢٨-١٢٩.

(٢٥٣) المواعظ، ج٢، ص١٢٩.

(٢٥٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص٣٤٧-٣٤٨؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٤٨٦؛ حامد زيان، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٦م، ص٨٢.

(٢٥٥) إنباء الغمر، ج٨، ص١٣٩.

(٢٥٦) إنباء الغمر، ج٨، ص١٣٩، ١٤٩.

(٢٥٧) بدائع الزهور، ج٢، ص١١٩.

(٢٥٨) الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص١٤٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٢؛ محاسن الوقاد، " الحجابة زمن سلاطين المماليك "، بحث منشور في كتاب مصر في العصر المملوكي، القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢٣٦.

(٢٥٩) تولى ولاية القاهرة بعد وفاة أخيه تاج الدين الشوبكي، وذلك في ربيع الأول ٨٣٩هـ/ أكتوبر ١٤٣٥م. انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٥٩، ٩٩٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٣٢.

(٢٦٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٦٣.

(٢٦١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ح٤، ص٧٦-٧٧؛ وانظر أيضًا : محاسن الوقاد، الحجابة، ص٢٣٦، ٢٣٨-٢٣٩؛ قاسم عبده قاسم، النيل، ص٧١؛ حامد زيان غانم، الأزمات الاقتصادية، ص١٢٠. أما عن الوالي علان من قراجا فقد تولى ولاية القاهرة في جمادي الأولى سنة ٩٠٧هـ. انظر : ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٢١.

(٢٦٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٠٣، حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص١٢٠-١٢١؛ لطفي نصار، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٣.

(٢٦٣) بدائع الزهور، ج٥، ص١٢٨.

(٢٦٤) معيد النعم ومبيد النقم، ص٤٣.

(٢٦٥) التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٤٠.

(٢٦٦) التشهير والتجريس الأولى من شهر والثانية من جرس، ومعناها اللغوي التنديد والتسميع وإذاعة ما يشين الذنب، وهو بغرض الإيلام النفسي للمذنب. فهو من ناحية ردع للمذنب وعبرة وعظة لغيره ممن تسول لهم أنفسهم الإقدام على فعله من ناحية أخرى. انظر : علاء طه، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٦٢، هامش ١.

(٢٦٧) ء طه، عامة القاهرة، ص١٣٦-١٣٧.

(٢٦٨) osenthal, The Herb, pp. 136-137.

(٢٦٩) مام العلامة قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الإمام ابن العباس أحمد بن علي النوري المصري ثم المالكي الشافعي المعروف بالقسطلاني، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة، ولد سنة ٦١٤هـ، أقام بمكة مدة طويلة، ثم صار إلى مصر، وكان حسن الأخلاق محبًا إلى الناس، توفي آخر المحرم من سنة ٦٨٦هـ انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، م٧، ص٣١٤.

(٢٧٠) هما مخطوط بدار الكتب المصرية فقه المذاهب الأربعة ٤٦، رقم الميكروفيلم ٤٦٦٤٢

(٢٧١) بدار الكتب المصرية فقه تيمور ٧٢٥، ميكروفيلم رقم ١٢٤٩٤. وقد قام فرانز روســنتال Franz Rosenthal بنشر مخطوطة ثالثة منه في كتابه .

The Herb. Hashish versus Medieval Muslim Society, Leiden1971 . Pp176-197 .

(٢٧٢) المحرم من سنة ٨٠٨هـ وهو أحد أئمة الفقهاء الشافعية في ذلك العصر.كما يـذكر ابـن حجـر. وصف التصانيف المفيدة، وله أحكام المساجد وأحكام النكاح وحوادث الهجرة وغير ذلـك ابـن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٣١٣-٣١٥. وانظر . مقدمة التحقيق لمخطوط إكـرام مـن يعـيش، ص٤-٦.

(٢٧٣) معرفة دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٩٩١م.

(٢٧٤) بن، البداية والنهاية، م٧، ص٤٠٧.

(٢٧٥) كثير، البداية والنهاية، م٧، ج١٤، ص٧٠٩؛ ابن قاضي شهبة، تاريخه، م٣، تحقيق عدنان درويـش، دمشق ١٩٩٤م، ص١٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

- أبو بكر القسطلاني (ت ٦٨٦هـ/١٢٨٧م) :

– تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة، مخطوط بدار الكتب المصرية، فقه المذاهب الأربعة ٤٦ ميكروفيلم رقم ٤٦٦٤٢.

– إتمام التكريم لما في الحشيش من التحريم، مخطوط بدار الكتب المصرية، فقه المذاهب ٤٦، ميكروفيلم ٤٦٦٤٢.

- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبدالله ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م) :

– زهر العريش في الكلام على الحشيش، مجاميع ٦٤٣ ميكروفيلم ٤٩٧٨.

– زهر العريش في تحريم الحشيش، فقه تيمور ٧٢٥ ميكروفيلم ١٢٤٩٤.

ثانيًا : المصادر العربية والمعربة :

- ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) :

– بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، تحقيق محمد مصطفى، فيسبادن ١٩٧٥م.

- ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) :

– تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دائرة معارف الشعب، بدون تاريخ.

- ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) :

– الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، بولاق ١٨٧٤م.

- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م) :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء ٤ ، ٧، طبعة دار الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.

- ابن تيمية (تقي الدين أحمد ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م) :

- الحسبة في الإسلام، نشر قصي محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٨٧هـ.

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، نشرها قصي محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٨٧هـ.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، مجلد ٣٤، ٣٥، الطبعة الثالثة، المطبعة السلفية، ١٤٠٣هـ.

- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) :

- رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٩٩٨م.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥ أجزاء، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦م.

- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ضبط وتصحيح السيد محمد أمين وعبدالوهاب عبداللطيف، دار الفتح، بدون تاريخ.

- ابن دانيال (شمس الدين بن دانيال الموصلي ت ٧١١هـ/١٣١١م) :

- خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، دراسة وتحقيق إبراهيم حمادة، القاهرة ١٩٦١م.

- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م):

- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال عز الدين، جزءان في مجلد واحد، بيروت ١٩٨٥م.

- ابن سودون البشبغاوي (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م) :

- ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس، تحقيق منال محرم عبدالمجيد، القاهرة ٢٠٠٣م.

• ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

- فوات الوفيات والذيل عليها، ٤ مجلدات، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٢-١٩٧٤م.

• ابن ظهيرة (أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي ٨٢٥-٨٩١هـ) :

- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة ١٩٦٩م.

• ابن عبدالظاهر (محي الدين بن عبدالظاهر المصري ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م) :

- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، بيروت ١٩٩٦م.

• ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م) :

- تاريخ ابن الفرات، م٩، ج٢، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين، بيروت ١٩٨٣م.

• ابن قاضي شهبة (تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م) :

- تاريخ ابن قاضي شهبة، المجلد الثاني، تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٩٤م، المجلد الرابع، تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٩٧م.

• ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبي عبدالله محمد الزرعي الدمشقي ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م):

- زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، الجزء الخامس، بيروت ١٩٩٨م.

• ابن كثير (عماد الدين أبي الفدا إسماعيل ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :

– البداية والنهاية، المجلد السابع (ج١٣، ١٤) تحقيق محمد عبدالعزيز النجار، القاهرة ١٩٩٢م.

• ابن الوردي (سراج الدين أبي حفص عمر (منتصف القرن ٩هـ/١٥م) :

– خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة بدون تاريخ.

• ابن الوزان الزياتي (المعروف بالحسن الوزان وبليون الأفريقي ت ٩٥٧هـ/١٥٥٠م):

– وصف أفريقيا، ترجمة عبدالرحمن حميدة، القاهرة ٢٠٠٥م.

• الأقفهسي (أحمد بن عماد بن محمد بن يوسف ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :

– إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش، تحقيق دار الصحابة للتراث، بطنطا ١٩٩١م.

• الجوبري (عبدالرحيم بن عمر الدمشقي) :

– المختار في كشف الأسرار.

• الحنبلي (أبو الفلاح عبدالحي بن العماد ت ١٠٨٩هـ) :

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الأجزاء من ٥-٧، بيروت، بدون تاريخ.

• السبكي (تاج الدين عبدالوهاب ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) :

– معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، أبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، القاهرة ١٩٤٨م.

• السخاوي (محمد بن عبدالرحمن محمد بن عثمان ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) :

– الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ١٢ جزء، بيروت، بدون تاريخ.

• الصيرفي (علي بن داود الخطيب الجوهري ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) :

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، أربعة أجزاء، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٧٤م.

• طافور :

- رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٨م.

• العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد ٧٠٠-٧٤٩هـ/١٣٠٠-١٣٤٩م) :

- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٩٨٨م.

• القرافي (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) :

- كتاب الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق، دراسة وتحقيق محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، المجلد الأول، القاهرة، بدون تاريخ.

• القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) :

- صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٢، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة، بدون تاريخ.

• الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف المصري) :

- كتاب الولاة وكتاب القضاة، صححه رفن كَست، بيروت ١٩٠٨م.

• مجهول المؤلف :

- المفاخرات الباهرة بين عرائس متنزهات القاهرة، دراسة وتحقيق محمد الششتاوي، القاهرة ١٩٩٩م.

• المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) :

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، جزءان، عن طبعة بولاق، بدون تاريخ.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، الأجزاء ١ ، ٢ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٧١م؛ والأجزاء ٣-٤ تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٢م.
- كتاب المقفي الكبير، ج١، ٧ ، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بدون تاريخ.

ثالثًا : المراجع العربية والمعربة :

- إبراهيم الدسوقي جاد الرب، ابن مكناس والشعر في عصر المماليك، القاهرة ١٩٩٠م.
- أحمد صادق الجمال، الأدب العامي في العصر المملوكي، القاهرة ١٩٦٦م.
- أحمد صبحي منصور، العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف، سلسلة تاريخ المصريين ١٨٦، القاهرة ٢٠٠٠م.
- أحمد عبدالرازق، شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٨٢م.
- أحمد عبداللطيف، " الأمراض الاجتماعية في مصر الإسلامية في عصر الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م) " بحث منشور في مجلة كلية الآداب — قنا، العدد الثامن ١٩٩٨م، ص١٠٣-١٤٢.
- آدم صبره، الفقر والإحسان في مصر عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠-١٥١٧م، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ٢٠٠٣م.
- إسماعيل عبدالمنعم محمد قاسم، " الأمراض الاجتماعية بين الطبقةالارستقراطية المملوكية في مصر زمن المماليك البحرية ٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م "، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس ١٩٨٨م.

- سامية علي مصيلحي، " البغاء في مصر في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م "، بحث منشور في حوليات آداب عين شمس، مجلد ٣٣، سنة ٢٠٠٥م.
- سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢م.
- سهام أبوز يد، الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربية إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة ١٩٨٦م.
- شلبي إبراهيم الجعيدي، طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، ٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧٠-١٢٥٠م، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة ٢٠٠٣م.
- عبادة كحيلة، الزط والأصول الأولى لتاريخ الغجر، القاهرة ١٩٩٤م.
- عبدالمنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، الجزء الأول، القاهرة ١٩٧٩م.
- عزت حسين، موسوعة المسكرات والمخدرات الجديدة، القاهرة ١٩٩٠م.
- علي السيد محمود، الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة ١٩٨٨م.
- علاء طه رزق، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، القاهرة ٢٠٠٢م؛ عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ٢٠٠٣م.
- قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٨م.
- محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الأيوبي، إسكندرية ١٩٩٠م.

الأدب في العصر المملوكي، ٣ أجزاء، الإسكندرية بدون تاريخ.

- محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، القـــاهرة ١٩٩٠م.
- ممدوح عبدالرحمن عبدالرحيم، المساوئ الاجتماعية في مصر الفاطمية ومقاومة الخلفاء الفاطميين لها (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م).
- لطفي أحمد نصار، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، سلسلة تـــاريخ المصريين، القاهرة ١٩٩٦م.
- نجوى كمال كيره، " المشاعلية وأثرهم في المجتمع المصري خلال العصر المملوكي "، بحث منشور في كتاب المجتمع المصري في العصرين المملـــوكي والعثمـــاني، ص٨٥-١٢٥، القاهرة ٢٠٠٧م.

رابعًا : المرجع الأجنبية :

- Franz Rosenthal, The Herb Hashish versus Medieval Muslim Society, Leiden 1971

وملحق به تحقيق لمخطوطة الزركشي، زهر العريش.